سلسلة رد البلاء «٥»

رد البلاء بالصبر

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾

«أبو رفعة»

مصطفى شيخ إبراهيم حقي

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حقي، مصطفى شيخ

رد البلاء بالصبر./ مصطفى شيخ إبراهيم حقي.- الرياض ١٤٣٠هـ

٠٠ص ؛ ٠٠ سم (سلسلة رد البلاء: ٥)

ردمك: ٩-٥٣٥-٥١-٩٩٦٠-٩٧٨

١- الصبر ٢- الأخلاق الإسلامية أ- العنوان ب- السلسلة

ديوي ٢١٢,٥ ١٤٣٠/٢١٢٦

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٢١٢٦هـ

ردمك: ٩-٥٣٥-٥١-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هـاتف: ٢٤٩٦٥٥٥ - ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤٨٣٠٠٤

المستودع تلفون: ٢٤١٦١٣٩ فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

قال النبي ﷺ: «**إن المعونة تأتي من الله على قدر المؤونة، وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء**»[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً**»[(٢)].

(١) الترغيب والترهيب، ٣/ ٦٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.

دعاء

اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك، ورضاً بقضائك، وأوزعنا شكر نعمائك، وصبراً على بلائك، ونجنا وأولادنا وذرياتنا من كل بلاء وبلية، أو خروجاً من الدنيا إلى رحمتك يا أرحم الراحمين، والمسلمين أجمعين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على كل حال، الحمد لله وهو المحمود في الأرض وفي السماء. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ندَّ، ولا ظهير ولا مثيل ولا شبيه. له الأسماء الحسنى والصفات العلا. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد ﷺ عبده ورسوله، وخيرته من خلقه ومصطفاه من رسله، وخاتم أنبيائه يأمره ربه بالصبر فيقول له: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾[1] ويعلمه ربه أنواع الصبر الثلاثة فيقول له كما في الحديث القدسي: «**يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به**». صبر على أقدار الله، وصبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إن الإنسان في هذه الحياة الدنيا بين أمر ونهي، وطاعة ومعصية، وبين فرحة وترحة، وسرور وحنان، والدنيا لا تصفو لأحد والمؤمن معرض للبلاء والمحن، ولو صفت الدنيا لكان أحق بذلك عباد الله الأبرار من المصطفين الأخيار.

ما أحلم الله علينا! ولو شاء لأمطرنا بالحجارة، نبارزه بالمعاصي ويكرمنا برحمته ويكرمنا بالمطر. واسوأتاه من الله! إن أوقفنا يوم القيامة وقال لنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ﴾[2].

---

(١) سورة الطور، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ٦.

واسوأتاه منه! إن أوقفنا بين يديه فقال: ﴿ **فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ** ﴿١٦﴾ ﴾[1].

أخي القارئ الكريم، إن هي إلا سنوات يسيرة ستون أو سبعون ثم نمضي إلى ربنا المنان، فإما جنة المأوى وإما نار تلظى. فصبراً أيها القارئ، صبراً على البلاء، وصبراً على الدنيا الفانية الزائلة، صبراً على المعاصي. وينبغي للعاقل ألا يفتر وألا يجترئ على معاصي الله، هذا آدم – عليه السلام – خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأباح له جنته، فلما عصى ربه بلقمة واحدة أخرجه من جنة عرضها السموات والأرض.

فالشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، وهذه لفتة من قلبي المحب لك إلى قلبك الطيب الخاشع فأنت الحكم.

فالصبر أيها الأخ الكريم، على المصائب التي تنزل بالعبد وهو كما يقول: أئمتنا حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والندب والنياحة، وحبس الجوارح عن الأفعال المحرمة كلطم الخدود وشق الجيوب، وأجمل الصبر وأحسنه ما كان في أول الأمر عند الصدمة الأولى.

ذلك أن المصيبة تنزل في أول أمرها نزول الصاعقة قوية شديدة، محرقة للقلب، ثم تصغر بعد ذلك رويداً رويداً. ولذلك يقول نبينا الكريم ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**». اللهم لك الحمد وإليك يرجع الأمر كله، لك ما أخذت ولك ما تعطي وكل شيء عندك بأجل مسمى.

فإن الحياة الدنيا لا تصفو لأحد، والدنيا طالت أو قصرت لا تخلو من

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٦.

المنغصات والأكدار، فكلما حَلَتْ أَوحَلَتْ، وكلما كَسَتْ أوكَسَتْ، والأيام دول، رخاء وشدة، يسر وعسر، عافية، ومرض، غنى وفقر، ضعف وقوة. والدنيا من يوم خلقها الله تعالى دار ابتلاء، ودار فناء فكل ما فيها زائل، وكل ما عليها إلى بوار إلا تقوى الله تعالى، والعمل الصالح.

اللهم إنا نبرأ إليك، اللهم أصلح لنا فساد قلوبنا. اللهم اهد قومنا وردهم إليك رداً جميلاً. اللهم حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، اللهم كره إليهم الكفر والفسوق والعصيان. واجعلنا من الراشدين. اللهم إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين.

نفعنا الله وإياكم في المصائب والبلوى، ويعين به الصابرين على الشكر والتقوى إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول، وهو حسبنا ونعم الوكيل. إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه

مصطفى شيخ إبراهيم حقي

«أبو رفعة»

الرياض – يوم الخميس: ١٤٢٩/٧/٧هـ

الصبر في اللغة والاصطلاح الشرعي

الصبر في اللغة:

أصل الصبر في اللغة يرجع إلى معان عدة منها: الحبس والمنع، الشدة والقوة، الجمع والضم. فالأول: مأخوذ من الصبر وهو الحبس، وكل من حبس شيئاً فقد صبره، يقال: صبَّرت نفسي على ذلك الأمر، أي حبستها قال عنترة:

فَصَبَرتُ عارفةً لذلك حُرَّةً ترسو إذا نفس الجبان تطلَّعُ [(١)]

والصبر: نقيض الجزع، صبر يصبر صبراً، فهو صابرٌ وصبَّارٌ وصبير وصبورٌ [(٢)].

والجمع صبر، قال الجوهري: الصبر حبس النفس عند الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبراً، وصبرته أنا حبسته، قال الله تعالى﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾[(٣)].

وأما الثاني: فمأخوذ من الشدة والقوة، ومنه الصُّبرةُ من الحجارة: ما اشتد وغلظ، والجمع صِبَار [(٤)].

والصبر: الأرض ذات الحصباء وليست بغليظة، ومنه قيل للحرَّة: أمُّ

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٣٢٩، ولسان العرب لابن منظور: ٤/ ٤٣٨.

(٢) لسان العرب، ٤/ ٤٣٨، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، ص٥٤١.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٣٣٠.

صَبَّار، وصَبَارَّة الشتاء، بتشديد الراء: شدة البرد.

والمعنى الثالث: فالجمع والضم، ومنه صُبْرة الطعام، والصُّبرة أيضاً: الحجارة الغليظة المجتمعة [١].

فالصابر يجمع نفسه ويضمها عن الهلع والجزع. ومن معانيه: الثبات، قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [٢]، أي بالثبات على ما أنتم عليه من الإيمان.

قال الراغب: الصبر، الإمساك في ضيق، يقال صبرتُ الدَّابة بمعنى حبستها بلا علف، ويقال: صبر فلانٌ عند المصيبة صبراً وصبرته أنا حبسته. قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [٣]، أي احبس نفسك معهم.

الصبر في الاصطلاح الشرعي:

قال الراغب: هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه. وقال الجاحظ: الصَّبر عند الشدائد خُلُقٌ مُركّبٌ من الوقار والشجاعة. وقال المناوي: الصبر قوة مقاومة الأهوال والآلام الحسية والعقلية [٤].

وقيل: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله إلا إلى الله؛ لأن الله تعالى

(١) لسان العرب، ٤/ ٤٤١-٤٤٣، بتصرف.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٤) الصحاح للجوهري: ٢/ ٧٠٦، ولسان العرب: ٤/ ٤٣٨. والتعريفات للجرجاني / ١٣١

أثنى على أيوب – عليه السلام – بالصبر بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾[(١)]. مع دعائه في دفع الضُّرِّ عنه بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾[(٢)]. فعُلِم أن العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره.

وقيل: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

وقيل: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والسعة.

وقيل: هو ثبات القلب عند موارد الاضطراب[(٣)].

والصبر من أعظم الأصول التي يعتمدها الزهاد وسالكو طريق الآخرة.

قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «اعلموا أن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، إذا فارق الرأس الجسد، فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور».

أخي القارئ، أختي القارئة، ومن أسماء الله عز وجل الصبور، قال ابن منظور في أسماء الله تعالى: الصبور: وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام. وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحليم. والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم. قال أبو إسحاق: الصبور في صفة الله عز وجل: الحليم وفي الحديث: «لا أحد أصبر على أذى

---

(١) سورة ص، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

(٣) مدارج السالكين ١/ ١٦٢-١٦٣ والتوقيف/ ٢١٢.

يسمعه من الله عز وجل: أي أشد حلماً على فاعل ذلك وترك المعاقبة عليه».

وقال الغزالي: الصبور هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه، بل ينزل الأمور بقدر معلوم ويجريها على سنن محدودة لا يؤخرها عن آجالها المقدرة لها ولا يقدمها على أوقاتها تقديم مستعجل، بل يودع كل شيء في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون وكما ينبغي [(١)].

تعبير الصبر في الرؤية [(٢)]:

أخي القارئ، الصبر في الرؤية: رفعة وبشارة. وربما دل على حسن العافية فيما يخشاه. ومن رأى أنه صبر على تضرر أو شدة، فإنه يرزق رفعة وخيراً، أو حسن حال، وسلامة وعافية وظفراً والله أعلم.

والصابرون: هم الذين يصبرون على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام. فلا يدعونه لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتوا مسلمين. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [(٣)].

(١) المقصد الأسنى للغزالي/ ١٤٩.

(٢) تعطير الأنام في تعبير المنام، عبدالغني النابلسي، ص٢٦٤، ط٣، ١٤١٥هـ، دار المعرفة، بيروت.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

الصبر في البيان الإلهي [(١)]

• قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[(٢)].

الشرح:

وعليكم بالصبر على أداء المأمور واجتناب المحذور. والصبر قوة من قوى النفس تدخل في كل نظم الحياة وأعمالها، وداوموا على الصلاة؛ لأنها تعين صاحبها في الأزمات، وتريحه في الكربات، وفي الحديث «**ارحنا بالصلاة يا بلال**»، فهي قرة العيون، وبهجة النفوس، وهذه الصلاة كبيرة وشاقة وصعبة إلا على الخاشعين المخبتة قلوبهم وجوارحهم للجبار جل جلاله، ولا يشق عليهم أداؤها في وقت النوم والراحة والبرد والسفر والمرض، وأما المنافق في أشق شيء وأصعبه عليه.

• وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ ﴾[(٣)].

الشرح:

أيها المؤمنون، عليكم بالصبر على الطاعات وأدائها على أكمل وجه، والصبر عن الشهوات والمعاصي والمخالفات باجتنابها والتوبة منها، والصبر على أقدار الله المؤلمة وعلى قضائه المر بحسن العبودية واحتساب الأجر وعدم

---

(١) التفسير الميسر، الشيخ عائض القرني، طبعة العبيكان، الرياض.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

السخط والجزع، وعليكم بمصابرة الأعداء ومنازلتهم ومغالبتهم ومراغمتهم في المعارك وساحات القتال، وفي ميادين النضال العلمي والردود عليهم ومجاهدتهم، وعليكم أيضاً بالمرابطة في ثغور الجهاد العملية، والمرابطة في أوقات العبادات، وملازمة المسجد للصلوات الخمس كما أخبر ﷺ أن ذلك رباط لما ذكر الوضوء وكثرة الخطا للمساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فمن صبر وصابر ورابط فإذا بالأجر العظيم والنعيم المقيم وأعطاه الله أشرف الجوائز، وأعظم الهبات، ووصل إلى أعلى المراتب، ونال أسمى المطالب، بسبب أنه تعبد الله عز وجل في المواطن كلها، في موقف الطاعة وفي موقف المعصية، وفي موقف الابتلاء فكان من عباد الله المخلصين، ومن أوليائه الصادقين جعلنا الله منهم.

• وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[1].

الشرح:

هؤلاء المصدقون بكتابهم السابق وبالقرآن يضاعف الله لهم الأجر مرتين؛ لإيمانهم بالكتابين؛ ولأنهم صابرون على أداء الطاعة واجتناب المعصية، وهم يدفعون السيئة بالحسنة، أي يعملون الطاعة بعد المعصية؛ تكفيراً لها، أو يقابلون الإساءة بالإحسان، وهم يتصدقون لوجه الله مما أعطاهم الله.

• وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[2].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.

الشرح:

إنما يعطي الله يوم القيامة الصابرين عطاء بغير حساب لكثرته، وغيرهم يعطى بحساب، وما ذاك إلا لعظم مرتبة الصبر.

- وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

الشرح:

وجعل الله من بني إسرائيل هداةً ودعاةً إلى الحق وقادةً إلى الخير يقتدي بهم الناس في البر والإحسان ويدعون إلى طاعة الله والصلاح والاستقامة بسبب أنهم صبروا على أداء الطاعات وترك المخالفات، كانوا يوقنون بآيات الله وبراهينه، ويصدقون بها أتم التصديق، فبالصبر قاوموا الشهوات، وباليقين قاوموا الشبهات، وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

- وقال تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[2].

الشرح:

لنختبرنكم بشيء من المصائب والشدائد؛ ليظهر الصادق من الكاذب مثل: الخوف من الأعداء، وقلة الغذاء، وذهاب بعض المال، وتكدر الحال،

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

وموت الأحباب، والأقارب والأصحاب، وهلاك الثمار، وفناء الأشجار، لنبتليكم في هذه الدار؛ لأنها ليست دار قرار، ولن ينفعكم في هذه الحال والامتحان القاسي غير الصبر، فمن صبر فله الظفر، فهو الذي يُوفَّى أجره بغير حساب، وينال أعلى الثواب، وتدخل عليه الملائكة من كل باب.

هؤلاء المؤمنون إذا وقعت بهم المصائب قالوا: نحن عبيد الله وملك لله، يقضي فينا ما يشاء من سراء وضراء وشدة ورخاء، فنحن تحت تدبيره ورهن تقديره، وسوف نرجع إليه للحساب، فمن صبر فله الثواب، ومن جزع فعليه العقاب، فالصابر مرحوم، والساخط محروم. فهؤلاء الصابرون لهم ثناء وتمجيد من الحميد المجيد، ولهم الرحمة والرضوان من الديَّان؛ لأنهم اهتدوا لعبودية ربهم بالشكر على النعم، والصبر على النقم. فالصلوات من الله تاج قبول، والرحمة أمان من الخسران، والهداية توفيق لأقوم طريق.

- وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[1].

الشرح:

هؤلاء هم الذين استثناهم الله، من المذمومين الموصوفين باليأس والكفر عند المعصية، والفرح والفخر عن النعمة، ولا خلاص من هذا الذم إلا بالصبر والعمل الصالح، كما لا تنال المغفرة والأجر الكبير إلا بهما. فهؤلاء يغفر الله لهم ما فعلوه من الذنوب. ويثيبهم أحسن الثواب على ما فعلوه من الطاعات، فذنبهم مغفور وسعيهم مشكور.

---

(١) سورة هود، الآية: ١١.

• وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾(١).

الشرح:

ثم كان المجتاز لعقبة الأعمال الشاقة مؤمناً بالله لا كافراً ولا منافقاً، يوصي نفسه وغيره بالصبر المشروع على الطاعات والمكاره وعن المعاصي، ويوحي بالتراحم؛ لبناء الألفة في المجتمع المسلم؛ ليعم الأمن والسلام.

• وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾(٢).

الشرح:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واصبر يا محمد، على ما أصابك من أذى في الله وما صبرك إلا بالله. يقول: وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله وتوفيقه إياك لذلك(٣).

• وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾(٤).

الشرح:

أي من صبر على الظلم والأذى، وغفر ولم ينتصر، فإن ذلك الصبر والغفران منه لمن عزم الأمور. أي من الأمور التي ندب إليها، أو مما ينبغي أن يوجبه العاقل على نفسه ولا ترخص في تركه.

---

(١) سورة البلد، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري: ١٤/ ١٣٣.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٤٣.

قال أبو سعيد القرشي: الصبر على المكاره من علامات الأنبياء، فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا، وهو أجل الأحوال، ومن جزع من المصيبات وشكا وكَّله الله تعالى إلى نفسه ثم لم تنفعه شكواه [(١)].

❁❁❁

(١) حكم القرآن، محمد خير رمضان يوسف، ص٢٦، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

الصبر في البيان النبوي

- عن أنس – رضي الله عنه – قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتقي الله واصبري**»، فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»(١).
- وقال رسول الله ﷺ: «**ما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر**»(٢).
- وقال رسول الله ﷺ: «**المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم، ولا يصبر على أذاهم**»(٣).
- وعن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «**إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك**». قال: فادعه. وقال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي، اللهم فشفّعه فيّ**»(٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه الترمذي.

- وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن أناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم. حتى إذا نفد ما عنده قال: «**ما يكن عندي من خير فلن ادّخره عنكم. ومن يستغن يُغنه الله، ومن يستفن يفنه الله، ومن يصبر يُصبِّرهُ الله وما أعطي أحدٌ من عطاءٍ خير وأوسع من الصبر**» (١).
- وعن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحب الله قوماً ابتلاهم. فمن صبر فله الصبر. ومن جزع فله الجزع**» (٢).
- وعن أنس – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، فصبر عوضته عنهما الجنة يريد عينيه**» (٣).
- وعن صهيب « رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**» (٤).
- وفي صحيح مسلم من حديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها خطيئة**».

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

- وفي المسند عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال البلاء بـالمؤمن أو المؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولـده حتـى يلقـى الله ومـا عليـه خطيئة**».

ومن أعظم ما يتحلى به المؤمن المـصاب، في الـسراء أو في الـضراء، هـو الصبر، الذي دلت السنة الشريفة على أهميته، ومكانتـه، وعلـو منزلتـه للعبـد الصابر، ففي المسند عنه ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قـضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن**»[(١)].

❁❁❁

(١) عدة الصابرين، ص٩٤.

أهمية الصبر

قال ابن تيمية – رحمه الله: «قد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾[1]، وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾[2]. فإن الدين كله علمٌ بالحق وعملٌ به، والعمل به لا بد فيه الصبر. بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر.

كما قال معاذ بن جبل – رضي الله عنه: «عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ومذاكرته تسبيح، به يُعرَف الله ويُعبَد، وبه يُمجَّد الله ويوُحَّد، يرفع الله بالعلم أقواماً، يجعلهم للناس قادة وأئمة، يهتدون بهم وينتمون إلى رأيهم.

فجعل البحث عن العلم من الجهاد، ولا بد في الجهاد من الصبر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٣) سورة العصر.

(٤) سورة ص، الآية: ٤٥.

فالعلم النافع هو أصل الهدى، والعمل بالحق هو الرشاد وضد الأول الضلال، وضد الثاني الغيُّ. فالضلال العمل بغير علم، والغي اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ (١).

فلا ينال الهدى إلا بالعلم ولا ينال الرشاد إلا بالصبر ولهذا قال عليٌّ: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان الجسد ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له» (٢).

❊❊❊

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ١، ٢.

(٢) مرجع سابق، ص٢٤٤٣، ج٦، من نضرة النعيم، ج٦.

مراتب الصبر

قال الفيروز أبادي: مراتب الصبر خمسة: صابرٌ ومصطبرٌ ومتصبِّرٌ، وصبور، وصَّبار، فالصابر أعمها، والمصطبر: المكتسب للصبر المبتلى به، والمتصبر: متكلِّف الصبر حامل نفسه عليه، والصبور: العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره، والصَّبَّارُ: الشديد الصَّبر فهذا في القدر والكم والذي قبله في الوصف والكيف [1] قال ذو النون: إن للصبر أسماء في الأحوال حسب اختلاف مواقعه: فإن كان حبس النفس بمصيبته: سمي صبراً لا غير، ويضاده الجزع. وإن كان في محاربة: سمي بشجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة: سمي رحب الصدر، ويضاده المذل والهذر والإفشاء، وفي فصول العيش زهد، ويضاده الحرص، وفي اليسير من الدنيا قناعة، وضده الشره.

أنواع الصبر:

قال أبو عمر: سألت الحليمي عن الصبر، قال ثلاثة أنواع:

١- الصبر على طاعة الجبار.

٢- والصبر عن معاصي الجبار.

٣- والصبر على الصبر على طاعته وترك المعصية.

وقال ابن القيم – رحمه الله: الصبر باعتبار متعلقة بثلاثة أقسام:

---

(١) نضرة النعيم، مجموعة من المختصين، ج٦، ص٢٤٤٢، ط٥، دار الوسيلة، جدة.

صبرٌ الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخَّطها.

وقال الفيروز أبادي: الصبر على ثلاثة أنواع:

١- صبرٌ بالله.

٢- وصبر مع الله.

٣- وصبر لله [١].

---

(١) مرجع سابق.

أقسام الصبر

أقسام الصبر من حيث تعلق الأحكام الخمسة به: «الواجب – المندوب – المباح – المكروه – المحظور».

أولاً: الصبر الواجب:

وهو المأمور به في كل حال بأنواعه الثلاثة: صبر على طاعة الله، أو صبر عن معصية الله، أو صبر على القضاء والقدر. ويكون بذلك مفهوم الصبر عامة.

ثانياً: الصبر المندوب:

فهو الصبر على المستحبات التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، وكذلك الصبر عن المكروهات التي يثاب تاركها ولا يعاقب فاعلها.

مثل أكل الثوم والبصل ثم الذهاب إلى المسجد برائحة كريهة. ومنه أيضاً الصبر على الإساءة من الناس بالقول أو الفعل وطلب الأجر من الله، وله أن يرد على الإساءة، لكنه إذا صبر فهو خير له.

وجاء في حديث النبي ﷺ: «**أنه من كان صائماً فسبه أحد أو شاتمه فليقل: (إني صائم) وهذا من الصبر المندوب**».

ثالثاً: الصبر المباح:

وهو الصبر على الأمور المباحة، وعلى الأعمال التي تتساوى في الخيرية من حيث فعله أو تركه.

يقول ابن القيم – رحمه الله: «هو الصبر عن كل فعل مستوي الطرفين خيّر بين فعله، أو تركه والصبر عليه».

رابعاً: الصبر المكروه:

وهو الصبر عن أمور مباحة، أو من الضرورة بمكان، ويكون الصبر هنا فيه ضرر على الجسد أو غيره. واضرب لذلك مثلاً: كمن يصبر عن الطعام ويتركه زهداً حتى يضرب بجسمه، فهو صبر مكروه. كذلك الصبر على فعل أمر مكروه فهو صبر مكروه. ويدخل فيه الصبر عن فعل المستحب.

خامساً: الصبر المحظور:

وهو الصبر على كل ما هو محرم، والصبر عن كل ما هو واجب، فمن صبر عن الطعام والشراب حتى الموت كان صبره حراماً محظوراً. ويدخل في هذا الصبر، صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من السباع والحيات والآفات.. وغيرها.

ومن أمثلة الصبر المحظور أيضاً، الصبر على العادات والأعراف والبدع التي تخالف الدين والشرع، وقد أنكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم على الكفار المشركين قولهم: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ (١) (٢).

❊❊❊

(١) سورة ص، الآية: ٦.

(٢) فضيلة الصبر، إعداد: حسين عودة الحازمي، رسالة ماجستير، ص٣٢-٣٣، ١٤١٥هـ.

مما يعين على الصبر

ومما يعين المرء على الصبر: يقين العبد بأن فرج الله قريب، ونصره آت لا ريب فيه، وأن بعد الضيق الفرج، وأن بعد العسر يسراً، وأن بعد الشدة الرخاء، يؤكد هذا اليقين قوله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[(١)]. وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾[(٢)]. العسر مُعرَّف بالألف واللام، ويسر نكرة، فالعسر هو نفسه، ويسر يسرٌ ثانٍ ولن يغلب عسرٌ يسرين، والله جعل اليسر مع العسر وليس بعده. وقال رسول الله ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطئك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**»[(٣)].

وكم من محنةٍ في طيها منحٌ ورحماتٌ. ها هو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم السلام – يضرب المثل في الرضا عن مولاه، والصبر على ما يلقاه صبراً جميلاً، بعده صبرٌ أجمل مع الأخذ بالأسباب والقوة في الأصل، يقول لأبنائه في حاله الأولى وقد أتوه: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[(٤)].

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٢) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) سورة يوسف، الآيات: ١٦-١٨.

فماذا قال يعقوب: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[(١)].

ثم يقول في الحال الثاني وهو أعظم أملاً، وبربه أكثر تعلقاً: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾[(٢)]. كل ذلك من هذا الشيخ الكبير صاحب القلب الوجيع، ثم يقول: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[(٣)].

ومن يقينه وقوة رجائه أن أمر أبناءه: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[(٤)].

وحسبك هذا المشهد العظيم الذي يحمل في طياته نتيجة الرجاء والتوكل على الله وحده واليقين بالفرج.

وهكذا تحدثت الآيات عن مجيء أسرة يعقوب بأسرهم إلى مصر، ودخلوها على يوسف وهو في عز السلطان وعظمة الملك، وتحقيق الرؤيا بسجود إخوته الأحد عشر له مع أبيه وأمه، واجتماع الشمل بعد الفرقة، وحلول الأنس بعد الكدر.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

فإذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج قريباً بإذن الله. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ [2] [3].

❁❁❁

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٣) الصبر ضياء، عبده بن أحمد الأقرع، ص٣١، ط١، ١٤٢٨هـ، مكتبة دار الزمان، الرياض.

وسائل لزوال القلق النفسي عند المصائب

- أخي القارئ .. أختي القارئة: هناك وسائل لزوال القلق النفسي وغيره من الأمراض النفسية الناتجة من عدم تحمل المصائب. نذكر منها:

١- أن يعلم الإنسان أن الدنيا دار ابتلاء وكرب، لا يرجى فيها راحة.

٢- أن المصيبة إذا وقعت لن تتغير أو تتبدل.

٣- أن يقدّر الإنسان أسوأ الاحتمالات، ويوطن على ذلك نفسه.

٤- النظر في حال من ابتلي بمثل بلائه أو أشد.

٥- طلب الأجر بالصبر والاحتساب.

٦- أن يعلم الإنسان أن البلاء خير له دائماً، وذلك من قول النبي ﷺ: **«عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»** (١) .

٧- أن يعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار.

٨- على الإنسان أن يعلم أن الحياة قصيرة، فلا ينبغي أن يجعلها مليئة بالهموم والأكدار.

٩- ومن أنفع الأسباب لزوال القلق والهموم إذا حصلت النكبات

(١) رواه مسلم.

والأزمات، أن يسعى في تخفيفها بذكر الله، وزيادة الإيمان، والعمل الصالح، وليعلم أن الصبر والرضى يورثه لذة في الدنيا، وأجراً عظيماً في الآخرة.

١٠- معاتبة النفس عند الجزع، والعزم على عدم فعله في أي وقت آخر، وليعلم أن الجزع لا يرد المصيبة، بل يضاعفها بشماتة الأعداء، وغضب الله، وإحباط الأجر، وضعف النفس.

فبالصبر على الشدائد تمتحن رجولة المرء. ولا تبدو الشخصية القوية ولا يظهر الخلق الكريم إلا في وقت الشدة، وكما قيل: «**لا يظهر الرجال إلا عند المصائب والشدائد**».

التخفيف في الابتلاء [١]

ذكر الإمام ابن القيم – رحمه الله – أموراً تخفف الابتلاء عند كثير من أهل العلم. نذكر منها ما يلي:

أولاً: أن تؤمن بالقضاء والقدر. وفي صحيح مسلم عن يحيى بن يعمر وهذا أول حديث في الصحيح. قال ابن عمر: لما حُدِّث أن قوماً في العراق لا يؤمنون بالقضاء والقدر. والذي يحلف به ابن عمر. وفي لفظ «**والذي نفسي بيده لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما تقبل منهم حتى يؤمن بالقضاء والقدر**»[٢]. وفي حديث صحيح عن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه لما حضرته الوفاة: «**يا بني، عليك بالإيمان بالقضاء والقدر فوالذي نفسي بيده إن لم تؤمن بالقضاء والقدر لا ينفعك عملك أبداً**» [٣] . فأول ما يخفف الابتلاء والمصائب قضية الإيمان بالقضاء والقدر. من لم يؤمن بالقضاء والقدر فلا يقبل الله له صرفاً ولا عدلاً ولا كلمة ولا زكاة وله عذاب أليم.

ثانياً: أن تعرف أن ما أصابك أنه قليل بالنسبة لما أعطاك الله سبحانه

---

(١) صبر الأولياء في منازل الابتلاء، عائض القرني، ص١٤، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الصميعي، الرياض.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد وأبو داود.

وتعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [(١)]. فما أصاب الله العبد بمرض أو هم أو غم أو حزن إلا كفر الله به من سيئاته، فاعلم أنها تكفير عنده سبحانه وتعالى لا يضيع.

ثالثاً: أن تتسلى بالمصابين أو المبتلين من الناس، وأن تعلم أن كل دار فيها مصيبة، وأنه ما ملئت أدر صبره إلا ملئت أبره، وفي كل وادٍ بنو سعد ولذلك قالوا للخنساء مالك تقولين؟ قالت: تسليت ببكاء الثكالى حولي ثم قالت:

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

فالتسلي بمصائب الناس وتذكر مصائب الناس من أعظم ما يدفع الكرب عن النفوس أو يخفف المصيبة. والله عز وجل يخفف بعض المصائب عن بعض.

وأعظم مصيبة تصيب العبد مصيبته في الدين فهي التي لا جابر لها ولا مسلي لها ولا معزي لها ومن كل شيء العوض إلا من الله فإذا فاتك ومن كل شيء تسلية إلا الدين، فإذا فاتك فوالله لا هناك تسلية ولا عزاء ولا عوض. فاحمد الله عز وجل أن أصبت بمصيبة في جسمك أو في ولدك أو في مالك أو في عرضك ولم تصب بمصيبة في دينك. فإنها من أعظم المصائب بل هي أم المصائب. ولا جابر لها إلا بالتوبة والعودة إلى الله عز وجل. قال ﷺ: «**اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا**».

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٦.

إذاً أخي القارئ: الابتلاء بالأمراض والمصائب والزلازل والمحن من الأقدار التي يقدرها الله على الناس والله عز وجل أعلم أن بالأجسام التي تتحمل المرض من غيرها. روى الطبراني بسند فيه نظر أن الرسول ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: «إني أعلم بعبادي من عبادي من لو ابتليته لما استطاع ولما صبر ومنهم لو عافيته لما شكر فأنا أصرِّف عبادي كيف أشاء**» فله سبحانه وتعالى الحكمة البالغة فالمرض من الابتلاءات العظيمة التي مرت في تاريخ هذه الدنيا منذ أن خلقها الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها».

استصغار المصيبة:

قال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعظ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشدَّ عليه من مصيبتي**» [1]. صدق رسول الله ﷺ فأي مصيبة تكون أعظم من مصيبة أمته فيه.

❁❁❁

---

(١) الصبر، إعداد محمد بن فهيد الدوسري، ص١٠٨، ط١، دار الوطن، الرياض.

لا تحزن فإن الصبر على المكاره وتحمل الشدائد طريق الفوز والنجاح والسعادة (١)

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾(٢). ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(٣)، ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ ﴾(٤)، ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾(٥)، ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾(٦)، ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾(٧).

قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: «بالصبر أدركنا حسن العيش».

لأهل السنة عند المصائب ثلاثة فنون: الصبر، والدعاء، وانتظار الفرج.

قال الشاعر:

سقيناهم كأساً سقونا بمثلها   ولكننا كُنّا على الموت أصبرا

وفي الحديث الصحيح: «**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله: إنهم يزعمون أن له ولداً وصاحبة، وأنه يعافيهم ويرزقهم**». وقال ﷺ: «**رحم الله موسى، ابتلي بأكثر من هذا فصبر**». وقال ﷺ: «**من يتصبَّر يُصبِّره الله**».

دببت للمجد والساعون قد بلغوا   جهد النفوس وألقوا دونه الأُزُرا
وكابدوا المجد حتى ملَّ أكثرهم   وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمراً أنت آكلُهُ   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

---

(١) لا تحزن، الشيخ، عائض القرني، ص١٣٣، وص ١٣٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٤) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٢٤.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

إن المعالي لا تنال بالأحلام، ولا بالرؤيا في المنام، وإنما بالحزم والعزم.

إذاً: لا تحزن فإن هناك أسباباً تسهل المصائب على المصاب. نذكر منها ما يلي:

١- انتظار الأجر والمثوبة من عند الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)].

٢- رؤية المصابين:

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

فالتفت يمنةً والتفت يسرة هل ترى إلا مصاباً أو ممتحناً؟ وكما قيل: «في كل وادٍ بنو سعد».

٣- وأنها أسهل من غيرها.

٤- وأنها ليست في دين العبد، وإنما في دنياه.

٥- وأن العبودية في التسليم عند المكاره أعظم منها أحياناً في المحارب.

٦- وأنه لا حيلة:

فاترك الحيلة في تحويلها ... إنما الحيلة في ترك الحيل

٧- وأن الخيرة لله رب العالمين: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[(٢)]. إذاً في المصائب مسائل: الصبر والقدر والأجر، وليعلم العبد أن الذي أخذ هو الذي أعطى، وأن الذي سلب هو الذي منح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[(٣)].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.

قال الشاعر:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

أخي القارئ:

وفي تهوين المصائب .. أقوال:

- قال بعض عقلاء التجار: ما أصغر المصيبة بالأرباح، إذا عادت بسلامة الأرواح.
- وكان من قول العرب: إن تسلم الجلَّة فالسَّخلة هدر.
- ومن كلامهم: لا تيأس أرضٌ من عمران، وإن جفاها الزمان.
- والعامة تقول: نهرٌ جرى فيه الماء لا بد أن يعود إليه.
- وقال ثامسطويوس: لم يتفاضل أهل العقول والدِّين إلا في استعمال الفضل في حال القدرة والنعمة، وابتذال الصبر في حال الشدة والمحنة.

❁❁❁

احذر الشكوى لغير الله [(١)]

نجد بعض الناس كثير التشكي إلى الناس يستأنس بالشكوى ويتلذذ كما قيل:

تلذُّ له الشكوى وإن لم يجد بها ... صلاحاً كما يلتذُّ بالحكِّ أجربُ

فالجاهل يشكو الله إلى الناس، وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكوِّ إليه؟ فإنه لو عرف ربَّهُ لما شكاه، ولو عرف الناس لما شكا إليهم، لأنهم مساكين عاجزون.

قال الشاعر:

ويمنعني شكواي للناس أنني ... عليلٌ ومن أشكو إليه عليلُ

ويمنعني شكواي لله أنه ... عليمٌ بما أشكوه قبل أقول

ولا ينافي الصبر شكواك الله.

قال الله تعالى عن نبيه أيوب – عليه السلام – أنه قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [(٢)].

وقال تعالى عن نبيه يعقوب – عليه السلام – أنه قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [(٣)].

ورأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقته وضرورته، فقال يا هذا والله ما زدتَّ على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك، والعارف إنما يشكو إلى الله وحده.

---

(١) الصبر ضياء، عبده الأقرع، ص٢٩، دار الزمان، الرياض: ١٤٢٨هـ.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٣.

وأعرفُ العارفين من جعل شكواه إلى الله من نفسه، فهو ناظرٌ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[1]. وقوله: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾[2]. وقوله: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ ﴾[3][4].

❊❊❊

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦٥.

(٤) الصبر ضياء، عبدالأقرع، ص٢٩، دار الزمان، الرياض، ١٤٢٨هـ.

صبر الكرام وصبر اللئام (١)

أخي القارئ، كل أحد لا بد أن يصبر على بعض ما يكره، إما اختياراً وإما اضطراراً، فالكريم يصبر اختياراً لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يحمد عليه، ويذم على الجزع، وأنه إن لم يصبر لم يرد الجزع عليه فائتاً، ولم ينتزع عنه مكروهاً، وأن المقدور لا حيلة في دفعه، وما لم يُقْدر لا حيلة في تحصيله، فالجزع ضرُّه أقرب من نفعه، قال بعض العقلاء: «العاقل عند نزول المصيبة يفعل ما يفعله الأحمق بعد شهر» كما قيل:

وأنَّ الأمر يُفضي إلى آخر فيصير آخره أولاً

فإذا كان آخر الأمر الصبر والعبد غير محمود، فما أجدر به أن يستقبل الأمر في أوله بما يستدبره الأحمق في آخره، وقال بعض العقلاء: من لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم. فالكريم ينظر إلى المصيبة فإن رأى الجزع يردها ويدفعها فهذا قد ينفعه الجزع، وإن كان الجزع لا ينفعه فإنه يجعل المصيبة مصيبتين. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر»، وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «الصبر مطية لا تكبو»، وقال الحسن – رحمه الله: «الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده».

وأما اللئيم فإنه يصبر اضطراراً فإنه يحوم حول ساحة الجزع فلا يراها تجدي عليه شيئاً فيصبر صبر الموثق للصبر، وأيضاً فالكريم يصبر في طاعة

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص٥٢، ط٣، دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

الرحمن واللئيم يصبر في طاعة الشيطان أتم صبر، ولا يصبر على البذل في طاعة الله في أيسر شيء، ويصبر على تحمل المشاق لهوى نفسه في مرضاة عدوه، ولا يصبر على أدنى المشاق في مرضاة ربه، ويصبر على ما يقال في عرضه في المعصية، ولا يصبر على ما يقال في عرضه إذا أوذي في الله بل يفر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خشية أن يتكلم في عرضه في ذات الله، ويبذل عرضه في هوى نفسه ومرضاته صابراً على ما يقال فيه، وكذلك يصبر على التبذل بنفسه وجاهه في هوى نفسه ومراده، ولا يصبر على التبذل لله في مرضاته وطاعته، فهو أصبر شيء على التبذل في طاعة الشيطان ومراد النفس، وأعجز شيء عن الصبر على ذلك في الله، وهذا أعظم اللؤم، ولا يكون صاحبه كريماً عند الله، ولا يقوم مع أهل الكرم إذا نودي بهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ليعلم أهل الجمع من أولى بالكرم اليوم أين المتقون.

❖❖❖

الإعجاز العلمي في الصبر (١)

يعد الصبر أفضل علاج للاضطرابات النفسية، بل قد يكون فيه الشفاء النفسي كله، وهو ما يؤكده الدكتور أحمد شوقي إبراهيم رائد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حيث قال:

يتعرض الإنسان للصحة تارة وللمرض تارة أخرى، ويصاحب الصحة البدنية المعاناة النفسية في الحياة اليومية، وكذلك يصاحب الاضطراب النفسي آلام عضوية في معظم الأحوال.

والألم في كل صورة ألم نفسي وألم عضوي، ويرافق الإنسان طوال حياته منذ ولادته وحتى وفاته، وليست شدة الألم مقياساً لخطورة المرض، فقد يكون المرض بسيطاً، ولكنه يسبب ألماً كبيراً مثل الآلام التي تحدث في الأسنان، أو الألم الذي ينتج عن شوكة بالقدم، وقد يكون المرض خطيراً ومع ذلك لا يسبب ألماً كبيراً، مثل بعض أنواع السرطان الخبيثة كسرطان السل الرئوي.

والإحساس بالألم هو الذي يدفع المرء إلى طلب العلاج، وضرورة لبقاء الجسم حياً وصحيحاً، لذا فالإحساس بالألم نعمة ينبغي شكر الله تعالى عليها، وإذا أدرك الإنسان هذه الحقيقة سهل عليه الصبر على الألم وبادر بشكر الله تعالى على نعمه، بالصبر يحصل الإنسان على خير كثير في الدنيا والآخرة وتتحقق له الصحة النفسية، والتوازن الداخلي للجسم.

---

(١) تعلم كيف تصبر واقطف الثمار، أحمد بن سالم بادويلان، ص٤٨، دار الحضارة.

وقد أظهرت دراسة أمريكية حديثة أجريت على أكثر من ثلاثة آلاف شخص تتراوح أعمارهم بين ١٨ – ٣٠ عاماً، واستغرقت ثلاثة أعوام. أن الأشخاص الذين هم في مقتبل العمر ولا يتحلون بخلق الصبر، ويشعرون دائماً بالقلق من أن الوقت غير كاف لإنجاز أعمالهم، يكونون أكثر عرضة من غيرهم للإصابة بمرض ارتفاع ضغط الدم.

وأوضحت الدراسة أنه كلما زاد الشعور بالقلق والاستعجال، وفقد الصبر زادت فرص الإصابة بأمراض ارتفاع ضغط الدم، مما يؤدي في النهاية إلى الإصابة بأمراض القلب والشلل الدماغي، وغيرها من الأمراض النفسية والعصبية.

كما يؤكد أحد الباحثين أن الصبر على المصاب من أنفع الوسائل في علاج حالات الاكتئاب والحزن؛ لأن الصابر يصبره الله تعالى وينزل عليه سكينة وطمأنينة يرتاح لها قلبه، وينشرح بها صدره، وخاصة إذا كان لسان حاله الشكر، والذكر، والدعاء والاستغفار والالتجاء إلى الله عز وجل.

جمال الصبر وحلاوته (١)

يقولون إن الصبر مرٌّ، والحقيقة أن الصبر على بعض المكاره يكون شديد المرارة بالغ الإيلام للنفس. ولكن العبرة بالخواتيم كما يقول رسول الله ﷺ: أي العبرة بالنهاية، أو كما تقول أحد الأمثال: «من يضحك أخيراً يضحك كثيراً». وهو مثلٌ له نظيرٌ في كل الأمم فيقول الفرنسيون:

«Rira bien qui rira le dernier». (أي يضحك كثيراً من يضحك أخيراً).

ويقول المثل الإنجليزي: (As end is well, ane well) أي: «ما دامت النهاية طيبةً، فكل شيء طيب».

- والصابر على مكروه ينتصر في آخر المطاف، فيكون للانتصار حلاوته التي تنسي الصابر ما سبق أن عاناه من مرارة الصبر.

وقد وصف الله سبحانه وتعالى الصبر بالجمال، إذ قال جلت حكمته في الآية الكريمة على لسان النبي يعقوب - عليه السلام - حين جاء إخوة يوسف بقميصه وعليه دمٌ كذبٌ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (٢).

والصبر يكون جميلاً حين لا يكون فيه جزعٌ، فلا يشكو الصابر للناس ما حلَّ به، ويجعل بثَّه وشكواه لله تعالى وحده، ولقد نزل البلاء على النبي يعقوب رغم كبر سنه، ولما غاب عنه ابنه الآخر قال كما ذكر الله جل شأنه في الآية التالية: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (٣).

---

(١) صبر أيوب، محمد كامل حسن المحامي، ص١٨، ط١، ١٩٧٩م.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

• إن القدرة على الصبر، إنما هي قدرةٌ يمنحها الله سبحانه وتعالى للعبد الذي يرضى عنه، فالصبر له ثوابه العظيم عند الله. قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[(١)].

ومعنى ذلك أن القدرة على الصبر لا تكون إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى، وأن الله العزيز الحكيم يمنح الصابرين جزيل ثوابه. والصبر هو الأساس المتين للكثير من الفضائل الإنسانية السامية التي يتحلى بها الإنسان الفاضل.

• إن حبس النفس عن شهوات الدنيا الزائلة يجعل الإنسان يتحلى بفضيلة القناعة، والقناعة كما تقول الحكمة العربية: كنز لا يفنى، والقنوع يشعر بأنه أغنى أهل الأرض طُرّاً. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**»، كما قال أيضاً: «**ما أعطي أحدٌ من عطاءٍ خير وأوسع من الصبر**».

• والإنسان إذا لم تكن القناعة من سجاياه، فإنه لا يرضى أبداً، إذ إن حُبَّ المال لا نهاية له، أو كما قال الرسول ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**».

وتقدم الإنسان في العمر لا يعلمه القناعة إن لم يروِّض نفسه عليها منذ

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ١٢٦، ١٢٧..

صغره، وهنا تبرز أهمية التوجيه المعنوي للوالدين، إذ عليهما تلقين أبنائهما مبادئ القناعة، والزهد من مظاهر الدنيا الزائفة الزائلة. يقول الرسول ﷺ: «**قلب الشيخ شَابَ على حبٍّ اثنتين: حب العيش والمال**». أي أن قلب الشيخ غير القنوع، يتحكم فيه حب الحياة وحب المال كاحتكام فورة الشباب في الشاب.

- والصبر كذلك يعين الإنسان على العِفَّة وعلى التنزُّه بنفسه عن مباذل الشهوات الدنيئة.

والله سبحانه يعين العبد الصابر، ويمنحه القدرة على متابعة الصبر حتى يحقق أهدافه بما يرضي ضميره ويرضي الله عز وجل.

ولقد قال الرسول ﷺ في ذلك: «من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يصبر يصبِّره الله».

ومن دعواته عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**». والقوت هو ما يسدُّ الرمق فحسب، وفي هذا الدعاء فضيلة التقلُّل من الدنيا. ولا يوردُ الإنسانَ موردَ التهلكةِ إلا تهافتُه على مظاهر الدنيا وبَهْرَجها، وهذا التهافت هو أكثر ما يُعرض الإنسان لغضب الله سبحانه وتعالى، لذلك قال رسول الله ﷺ: «**والله ما أخشى عليكم أيها الناس، إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا**». ومتاع الدنيا كما قال الله عز وجل: إنما هو متاع الغرور، والإعراض عنه يحتاج بطبيعة الحال إلى الكثير من الصبر وحبس النفس عن الهوى.

❁❁❁

بين صبرين [١]

الصبر على الهوى أشق من الصبر في المعركة وأعظم أجراً، فالشجاع يدخل المعركة يمضغ في شدقيه لذة الظفر، فإذا حمي الوطيس نشطت نفسه وزغردت، والمؤمن وهو يصارع هواه يتجرع مرارة الحرمان فإذا صمم على الصبر ولَّت نفسه وأعولت، والشجاع يحارب أعداءه رياءً وسمعة وعصبية واحتساباً، ولكن المؤمن لا يحارب أهواءه إلا طاعة واحتساباً.

أشد من الصبر والحرمان [٢]

الثبات على الصبر أشد من الصبر نفسه، والرضا بالحرمان أشد من الحرمان نفسه، وما كل صابر ثابت، ولا كل محروم راضي، ولا كل نائحة ثكلى، ولا كل عبوس حزين، ولا كل محب متيم.

(١) هكذا علمني الحياة، د. مصطفى السباعي، ص٣٤، دار الوراق، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، بيروت.

(٢) مصدر سابق.

أشق الصبر على النفوس (١)

مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد، فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر، وإذا فقدا معاً سَهُل الصبر عنه، فمن لا داعي له إلى القتل والسرقة وشرب المسكر وأنواع الفواحش، ولا هو سهل عليه، فصبره عنه من أيسر شيء وأسهله، ومن اشتد داعيه إلى ذلك وسهل عليه فعله فصبره عنه أشق شيء عليه، ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم وصبر الشاب عن الفاحشة وصبر الغنى عن تناول اللذات والشهوات عند الله بمكان.

وفي المسند وغيره عن النبي ﷺ: «**عجب ربك من شاب ليست له صبوة**»، ولذلك استحق المذكورون في الحديث الذين يظلهم الله في ظل عرشه لكمال صبرهم ومشقته.

فإن صبر الإمام المتسلط على العدل في قسمه وحكمه ورضاه وغضبه، وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه، وصبر الرجل على ملازمة المسجد، وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة حتى عن بعضه، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع كمال جمال الداعي ومنصبه، وصبر المتحابين في الله في ذلك في حال اجتماعهما وافتراقهما، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك وعدم إظهاره للناس من أشق الصبر.

---

(١) عدة الصابرين، ابن قيم الجوزية، ص٦٩، ط٣، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

وهذا كان الصبر عن معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواع الصبر لشدة الداعي إليهما وسهولتهما. فإن معاصي اللسان فاكهة الإنسان، كالنميمة والغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضاً وتصريحاً، وحكاية كلام الناس والطعن على من يبغضه، ومدح من يحبه. ونحو ذلك فتتفق قوة الداعي وتيسر حركة اللسان فيضعف الصبر. ولهذا قال ﷺ لمعاذ: «**أمسك عليك لسانك**»، فقال: وأنا لمؤاخذونا بما نتكلم به؟ فقال: «**وهل يكبُّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**»، ولا سيما إذا صارت المعاصي اللسانية معتادة للعبد فإنه يعز عليه الصبر عنها، ولهذا تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار، يطلق لسانه في الغيبة والنميمة والتفكه في أعراض الخلق، وربما خص أهل الصلاح والعلم بالله، والدين والقول على الله ما لا يعلم، وكثير ممن تجده يتورع عن الدقائق من الحرام والقطرة من الخمر، ومثل رأس الإبرة من النجاسة، لا يبالي بارتكاب الحرام، كما يحكى أن رجلاً خلا بامرأة أجنبية، فلما أراد مواقعتها قال: يا هذه، غطي وجهك، فإن النظر إلى وجه الأجنبية حرام.

فالمقصود أن اختلاف شدة الصبر في أنواع المعاصي ويذكر عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: «الصبر ثلاثة: فصبرٌ على المصيبة، وصبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية. فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة، ومن صبر على الطاعة حتى يؤديها كما أمر الله كتب الله له ستمائة درجة، ومن صبر عن المعصية خوفاً من الله ورجاءً ما عنده كتب الله له تسعمائة درجة».

❖❖❖

الصبر على عشرة وجوه

وحدث في بعض الحكمة: إن الصبر على عشرة وجوه:

١- الصبر عن المعاصي.

٢- الصبر على الفرائض.

٣- الصبر على الشبهات.

٤- الصبر على الفقر.

٥- الصبر على الأوجاع.

٦- الصبر على المصائب.

٧- الصبر على أذى الناس.

٨- الصبر عن الشهوات.

٩- الصبر عن فضول الكلام.

١٠- الصبر على النوافل.

وكل عمل من هذه الوجوه تعمله وهو شاقٌّ عليك. فأنت فيه صابر، وكلُّ عملٍ تعمله منها وليس فيه مشقَّةٌ فليس ذلك من باب الصبر، ويكون ذلك من حُسن المعونة من الله سبحانه لعبده، كفاه مؤونة المشقة وأذاقه حلاوة المعونة.

إن للصبر شروطاً ..!

قال خلف بن إسماعيل الخزاعي – رحمه الله: سمعت أبا سليمان داود الجواربي يقول يوماً وأقبل عليَّ – فقال: يا أبا إسماعيل قل لأصحابك أهل البلاء: اغتنموا الصبر فكأنكم قد بلغتم مدته. قال خلف بن إسماعيل: فذكرت ذلك لرجل منهم يكنى أبا ميمون، وكان عاقلاً، فقال: يا أبا إسماعيل، إن للصبر شروطاً.

قلت: ما هي يا أبا ميمون؟

قال: إن من شروط الصبر أن تعرف كيف تصبر؟ ولمن تصبر؟ وما تريد بصبرك؟ وتحتسب في ذلك، وتحسن النية فيه، لعلك إن يخلص لك صبُرك، وإلا فإنما أنت بمنزلة البهيمة نزل بها البلاء فاضطربت لذلك، ثم هدأ فهدأت، فلا هي عقلت ما نزل بها فاحتسبت وصبرت ولا هي صبرت، ولا هي عرفت النعمة حين هدأ ما بها فحمدت الله على ذلك وشكرت [(١)].

❖❖❖

(١) الصبر والثواب عليه، ابن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار ابن حزم، بيروت.

فمن أراد الصبر

من أنفع الأمور لمن أصابه مصيبة أو بلاء: أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل قرية ومدينة بل في كل بيت من أصيب، فمنهم من أصيب مرة ومنهم من أصيب مراراً، وليس ذلك بمنقطع حتى يأتي على جميع أهل البيت، حتى نفس المصاب فيصاب، أسوة أمثاله ممن تقدمه، فإنه إن نظر يمنة فلا يرى إلا محنة، وإن نظر يسرة فلا يرى إلا حسرة.

ذكر أبو الفرج بن الجوزي بإسناده عن عبدالله بن زياد قال: حدثني بعض من قرأ في الكتب: أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مرض مرضاً شديداً، فلما أشفق أن يموت كتب إلى أمه:

يا أماه، اصنعي طعاماً واجمعي من قدرت عليه ولا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة، واعلمي هل وجدت لشيء قراراً باقياً وخيالاً دائماً، إني قد علمت يقيناً أن الذي أذهب إليه خير من مكاني. قال: فلما وصل كتابه صنعت طعاماً، وجمعت الناس وقالت: لا يأكل هذا من أصيب بمصيبة، فلم يأكلوا، فعلمت ما أراد (ابنها بذلك) فقالت: من يبلغك عني أنك وعظتني فاتعظت، وعزيتني فتعزيت، فعليك السلام حياً وميتاً. فإذا علم المصاب أنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى، إما بفوات محبوب أو حصول مكروه. فسرور الدنيا أحلام نوم، أو كظل زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سرت يوماً ساءت دهراً، وإن منعت قليلاً منعت طويلاً، وما ملأت داراً حبرة إلا ملأتها عبرة، وما حصلت للشخص في يوم سروراً إلا خبأت له في يوم شروراً[1].

(١) تسلية أهل المصائب، ص١٤-١٥.

الصبر على الأذى والبلاء في الجسد

لقد أثنى الله تعالى على عبده أيوب – عليه السلام – بأحسن الثناء بصبره على المرض. قال تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١).

وعن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها**» (٢).

فالصبر على البلاء في الجسد يزيد الإيمان، ويقلل الآثام بتكفيرها، وهذا يعني قرب العبد من الله على الدوام، وأثر ذلك عظيم جداً على شخصية ذلك المسلم، فهو مطمئن القلب، هادئ النفس، لا يعرف القلق لفؤاده طريقاً، وأما غيره ممن لم يتحل بخلق الصبر تجده جزعاً هلعاً من أبسط المواقف، وأصغر المصائب، فتجده مضطرب الشخصية، كثير الشكوى، لا يرضى عن أي حال من الأحوال، الحياة عنده مليئة بالهموم والأكدار، يرى أن الحياة صعبة وكئيبة، ويفكر في التخلص منها بأي شكل من الأشكال. وهذا ما يؤدي بكثير من الناس الذين لم يجدوا حلاوة الإيمان وأثر الصبر على المصائب. هذا ما يؤدي بهم إلى الانتحار والعياذ بالله. قال سليمان بن القاسم: «كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر».

---

(١) سورة ص، الآية: ٤٤.

(٢) رواه مسلم.

وطلب الأجر والمثوبة من الله عز وجل، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)].

أخي القارئ .. أختي القارئة، قال ابن القيم – رحمه الله: سأل رجل الإمام الشافعي – رحمه الله – فقال: يا أبا عبدالله، أيهما أفضل للرجل أن يُمكَّن (فيشكر الله عز وجل) أو يُبتَلى (بالشر فيصبر)؟ فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم ومحمداً – صلوات الله عليهم أجمعين – فلما صبروا مكّنهم. فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة[(٢)].

فالأجر على المصيبة متوقف على الصبر عليها، والرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله تعالى، وعدم الجزع للبلاء.

وأما من لم يقابل البلاء بالرضا، ولا يكون مستسلماً للقضاء، فلا أجر له ولا جزاء ولا ثواب، بل يكون جزعه معصية يعاقب عليه، والإيمان الصحيح: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، اللهم ارزقنا الإيمان الخالص والطف بنا في قضائك وقدرك، واكفنا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن .. آمين يا رب العالمين.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) الفوائد لابن القيم، ص٢٨٣، بتصرف.

حِكَمْ الصّبر (١)

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أنه واجب باتفاق الأئمة، وكذلك قال به ابن القيم – رحمه الله – لذا فلا بد من الصبر على القيام بالواجبات وترك المحرمات، والصبر على المصائب مع أنه يكره للمرء أن يوجب على نفسه شيئاً لم يوجبه الله عز وجل، إما بعهد، أو نذر، أو طلب ولاية، أو نحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (٢).

وبالجملة: فالصبر على الواجب واجبٌ، وعن الواجب حرامٌ، والصبر عن الحرام واجب، وعليه حرام، والصبر عن المكروه مستحب، وعليه مكروه، والصبر على المستحب مستحب، وعنه مكروه، والصبر عن المباح مباح، وعليه مباح.

أما الصبر المحمود، والمأجور عليه صاحبه، هو ما اشتمل على شروط ثلاثة:

١- الإخلاص لله تعالى. قال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦﴾ (٣).

٢- عدم التشكي للعباد.

٣- أن يكون الصبر عند الصدمة الأولى.

❊❊❊

---

(١) الصبر على ضوء الكتاب والسنة، محمد بن فهيد الدوسري، ص١٠، دار الوطن، الرياض.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٧.

صبر جميل والله المستعان

• **أخي القارئ .. أختي القارئة:**

التحلي بالصبر من شيم الأفذاذ الذين يتلقون المكاره برحابة صدر وبقوة إرادة، ومناعة أبية، وإن لم أصبر أنا وأنت فماذا نصنع؟ هل عندك حل لنا غير الصبر؟ هل تعلم لنا زاداً غيره؟

كان أحد العظماء مسرحاً تركض فيه المصائب، وميداناً تتسابق فيه النكبات، كلما خرج من كربة زارته كربة أخرى، وهو مترس بالصبر، متدرع بالثقة بالله. هكذا يفعل النبلاء، يصارعون الملمات ويطرحون النكبات أرضاً.

دخلوا على أبي بكر – رضي الله عنه – وهو مريض، قالوا: ألا ندعولك طبيباً؟ قال: الطبيب قد رآني. قالوا: فماذا قال؟ قال: يقول: إني فعال لما أريد.

واصبر وما صبرك إلا بالله، اصبر صبر واثق بالفرج، عالم يحسن المصير، طالب للأجر، راغب في تكفير السيئات، اصبر مهما أدلهمت الخطوب وأظلمت أمامك الدروب، فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً، فصبر جميل، والله المستعان.

العظماء .. مروا في هذه الدنيا، ولعظيم صبرهم وقوة احتمالهم، كانت المصائب تقع على رؤوسهم كأنها قطرات ماء باردة، وهم في ثبات الجبال، وفي رسوخ الحق، فما هو إلا وقت قصير فتشرق وجوههم على طلائع فجر الفرح، وفرحة الفتح، وعصر النصر. وأحدهم ما اكتفى بالصبر وحده، بل نازل الكوارث، وصاح في وجه المصائب متحدياً [1].

❊❊❊

(١) لا تحزن، الشيخ الدكتور/ عائض القرني. ص٦٥، مكتبة العبيكان، الرياض.

الصبر مفتاح الفرج

أخي القارئ: لقد وعد الله عز وجل عباده الصابرين بقرب الفرج في صور نذكر منها:

الأولى: قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[1][2]. وهذه الآية العظيمة الطيبة تتضمن أصلين عظيمين، إذا تحقق العبد بمعرفتها تسلّى عن مصيبته:

١- أنَّ العبد وأهله وماله مُلكٌ لله عز وجل حقيقة.

٢- أنَّ معين العبدِ ومرجعهُ إلى الله - مولاه الحق - ليوفيه حسابه.

فتفكُّره في مبدئه ومعاده أعظم معينٍ على التحلّي بالصبر عند الشدائد والمصائب، والمحن، والفتن.

الثانية: الوعد بالسعة بعد الضيق، والرخاء بعد الشدة، واليُسر بعد العسر، وفي هذا يقول جل وعلا: ﴿ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾[3] ولم يكتف الخالق - سبحانه وتعالى - أن جعل اليسر بعد العسر، بل جعله في موطن آخر معه، وبصيغة التأكيد، حيث قال ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴿٦﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥، ١٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥، ١٥٦.

(٣) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

(٤) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

وفي هذه الآيات يتجلى أمران:

١- تحقق اليسر بعد العسر تحققاً قريباً، حتى كأنه معه، ومتصلاً به، حتى لو دخل العسر حجر ضب ليتبعه اليسر، ولن يغلب عسرٌ يسرين.

٢- إن مع العسر يسراً بالفعل، ولكن قد يكون ملموساً، أو مكنوناً، ففي كل قدرٍ لطف، وفي كل بلاء نعمة.

ولا يشك مؤمن عرف ربه وآمن به أن الله يقدر ويلطف ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1]. لأنه أعلم بمن خلق، وأرحم بهم من أنفسهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ⑭﴾[2].

الثالثة: الوعد بحسن العاقبة، والعبرة بالعواقب، والمدار على الخواتيم، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[3].

الرابعة: الوعد بحسن العوض عما فات، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ㊶ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ㊷﴾[4].

❖❖❖

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤

(٣) سورة هود، الآية: ٤٩.

(٤) سورة النحل، الآيتان: ٤١، ٤٢.

الصبر على المرض

- عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها**»[(١)].

- وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده – وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد إذا سبقت له من الله منزلةٌ فلم يبلغها بعمل. ابتلاه الله في جسده أو ماله أو في ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل**»[(٢)].

- وعن أبي سعيد وأبي هريرة – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المؤمن من نصبٍ ولا وصبٍ، ولا همٍّ ولا حزنٍ، ولا أذىً ولا غمٍّ، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه**»[(٣)].

- وعن أبي هريرة – رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مؤمن يشاك بشوكة في الدنيا يحتسبها إلا قُصَّ بها من خطاياه يوم القيامة**»[(٤)]. وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**»[(٥)].

---

(١) صحيح الترغيب، ٨/ ٣٤٠.

(٢) صحيح الترغيب: ٣٤٠٩.

(٣) رواه الصحيحان.

(٤) صحيح الترغيب: ٣٤١١.

(٥) رواه الترمذي.

- وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لا يمرض مؤمن ولا مؤمنة ولا مسلم ولا مسلمة إلا حط الله به خطيئة»** [(١)].

- وعن أم العلاء - وهي عمة حكيم بن حزام - وكانت من المبايعات - رضي الله عنها - قالت: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة فقال: **«أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يُذهبُ الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة»** [(٢)] [(٣)].

تهون علينا المصيبة عندما نتذكر هذا القول: «ستة أشياء إذا ذكرتها هانت عليك مصيبتك، أن تذكر أن كل شيء بقضاء وقدر، وأن الجزع لا يرد عنك القضاء، وأنما أنت فيه أخفُّ مما هو أكبر منه، وأن ما بقي لك أكثر مما أخذ منك، وأن لكل قدرٍ حكمةً لو علمتها لرأيت المصيبة هي عين النعمة، وأن كل مصيبة للمؤمن لا تخلو من ثوابٍ، ومغفرة، أو تمحيص أو رفعة شأن أو دفع بلاء أشد، وما عند الله خير وأبقى» [(٤)].

يقول نصر بن سيار: كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة، فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر.

❊❊❊

---

(١) الترغيب: ٣٤٢٥.

(٢) صحيح الترغيب: ٣٤٢٧.

(٣) الصبر ضياء، عبده بن أحمد الأقرع، ص٤٥ - ٤٦.

(٤) متعة الحديث، عبدالله الداوود، ص٨٨، ط١٤.

ثمرات الصبر [١]

أعلم رحمك الله أن للصبر ثمرات وبركات وكرامات وفيه من خيري الدنيا والآخرة نذكر منها ما يلي:

١- جعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٢].

٢- تسليم الملائكة على الصابرين في الجنة، قال تعالى: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٣]. قال الفضيل: صبروا على ما أمروا به، وصبروا عما نهوا عنه، وقد وصف الله في كتابه أهل الجنة بالصبر: ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ ﴾ [٤].

٣- إن الله جمع أمور للصابرين لم يجمعها لغيرهم. قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [٥]. فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين.

---

(١) الصبر ضياء، إعداد دار القاسم، ص٢٤، دار القاسم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الرياض.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.

٤- معية الله للصابرين: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[١].

٥- نيل الأجر بغير حساب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢]. قال سليمان بن القاسم: كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. قال: يغرف لهم غرفاً، ويقول الشيخ ابن عثيمين تعليقاً على هذه الآية: «يعطون أجرهم بغير حساب؛ لأن الأعمال الصالحة مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، أما الصبر فإن مضاعفته تأتي بغير حساب من الله، وهذا يدل على أن أجره عظيم». قال بعض السلف: إذا أعجبتك نفسك في قيام الليل فتذكر من هم أرفع منزلة منك، نائمون على فرشهم، هم أهل البلاء الصابرون.

٦- الأجر العظيم للمصاب وإن تقادم عهد المصيبة، كما قال ﷺ: **«ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلا حدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب»**[٣].

٧- إن الصبر سبب لهداية القلوب، وزوال قسوتها، وحدوث رقتها وانكسارها، فكم من غافل رجع إلى ربه عندما أصيب بمرض؟ كم من لاه أقبل على مولاه عندما أصيب بفقد عزيز. يقول سبحانه:

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٣) صحيح الجامع.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[(١)]، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى المسلم. ومعنى الآية: أن من أصابته مصيبة فعلم أنها من قدر الله فصبر، واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدىً في قلبه، ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه خيراً منه كما قال سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[(٢)].

٨- أن الصبر سبب في دخول الجنة، قال سبحانه: ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[(٣)]. ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[(٤)]، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال لعطاء: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ وقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**»، قالت: أصبر، قالت: إني أتكشف فادع الله ألا أتكشّف، فدعا لها. وفي الحديث القدسي: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة». حبيبتيه: عينيه.

(١) سورة التغابن، الآية: ١١.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥، ١٥٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١١١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

٩- أنه سبحانه قرن الصبر بأركان الإسلام، ومقامات الإيمان كلها مقرونة بالصبر، ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[1] وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. وجعله قرين التقوى، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾[2]، وجعله قرين الشكر: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[3]. وجعله قرين الصدق: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾[4].

١٠- فتح أبواباً من العبادات للمؤمن الصابر كالدعاء، والإخلاص، والإنابة: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾[5]. ومما يروى في هذا المجال أن أحد السلف لما برئ من مرضه فجاؤوا يهنئونه، فلما فرغ الناس من كلامهم. قال الفضل بن سهل: إن في العلل لنعماً لا ينبغي للعاقل أن يجهلها: تمحيص للصبر، وتعرض لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة، وأذكار بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء للمثوبة، وحض على الصدقة، وقد ذم الله أقواماً لم يتضرعوا إلى الله في حال البلاء: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٠

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٨.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٧٦.

١١- محبة الله للصابرين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[(١)]. دليل على أنه معان من قبل الله، وأن الله يعين الصابر ويؤيده ويكلؤه حتى يتم له الصبر على ما يحبه الله [(٢)].

اكتفينا إلى هنا .. جعلنا الله وإياكم من الصابرين.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٢) ابن عثيمين.

فوائد الصبر

للصبر فوائد عديدة لا تحصى منها ما يلي [١]:

١- الإنابة إلى الله والإقبال عليه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [٢].

٢- التضرع والدعاء. قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ [٣].

٣- ترسيخ خصال الحلم عمَّن صدرت عنه المعصية. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [٤].

٤- من فوائد الصبر التي يجنيها الإنسان من وقوع المصائب العفو عن جانبها، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٥].

٥- ومن الفرح بها لأحل فوائدها إذ ليست المصيبة شراً كلها، فقد تكون تكفيراً عن خطيئة، وقد تكون تعجيلاً بالعقوبة في الدنيا؛ لأن في تأجيلها خطراً عظيماً، قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده إذا كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء**».

---

(١) انظر كتابنا المنتقى من الفوائد الإيمانية، ص١٦٩، ط١، إصدار دار طويق، الرياض.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

٦- تمحيص الذنوب والخطايا. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[(١)].

٧- من فوائد الصبر: الرحمة لأهل البلاء ومساعدتهم على بلواهم فالناس إما معافى أو مبتلى، فارحموا أهل البلاء، واشكروا الله تعالى على العافية.

٨- ومنها معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها، فإن النعم لا تعرف أقدارها إلا بعد فقدها.

٩- معرفة ما أعده الله تعالى من ثواب الآخرة على اختلاف مراتب تلك المصائب وما في طيها من الفوائد. قال تعالى: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾[(٢)].

١٠- من فوائد الصبر أن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر، والفقراء، والضعفاء هم أتباع الأنبياء ولهذه الفوائد الجليلة كان أشد الناس بلاءً وصبراً الأنبياء ثم الصالحون الأمثل فالأمثل.

❊❊❊

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٩.

جزاء الصبر الجنة[(١)]

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة، ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ فيقوم أناسٌ وهم يسعون ينطلقون إلى الجنة سراعاً، فتلقاهم الملائكة، فيقولون: إنا رأيناكم سراعاً إلى الجنة، فمن أنتم؟ فيقولون نحن أهل الفضل، فيقولون: وما فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا عفونا، وإذا جُهل علينا حلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين قال: ثم ينادي منادٍ: أين أهل الصبر؟ فيقوم أناس وهم يسعون فينطلقون إلى الجنة سراعاً، فتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقولون وما صبركم، فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله، وكنا نصبر عن معاصي الله، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين. قال: ثم ينادي منادٍ: أين المتحابون في الله، أو قال: في ذات الله (شك محمد) فيقوم ناس وهم يسعون فينطلقون إلى الجنة سراعاً، فتلقاهم الملائكة، فيقولون: رأيناكم سراعاً إلى الجنة من أنتم؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله – أو في ذات الله – فيقولون: وما كان تحابكم؟ فيقولون: كنا نتحاب في الله، ونتزاور في الله، ونتعاطف في الله، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين»**.

قال رسول الله ﷺ: **«ثم يضع الله الموازين للحساب بعد ما يدخل هؤلاء الجنة»**[(٢)] .

❊❊❊

(١) الأحاديث المرفوعة للصبر، إعداد عبدالله بن ناصر الخثلان، ص٣٠، رسالة ماجستير ١٤١٩هـ، مجلد أول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا.

صبر إمام الصابرين محمد ﷺ

- صبر على ألم الأذى فأوذي في المنهج والوطن، والسمعة والخلق والرسالة والزوجة.
- صبر على شماتة العدو، وتنكر الصديق، وعقوق القريب، ونيل الحاسد وتشفي الحاقد، وتألب الخصوم، وتكالب الأحزاب، وتكاثر المناوئين، وصول الباطل، وقلة الناصر، وصبر على شظف العيش، وجفاف الفقر، وقلة ذات اليد، وجدب النفقة، وعوز المعيشة، وحرارة الجوع، ومرارة الفاقة.
- وصبر على الخصم، وقتل القريب، وأسر الحبيب، وتشريد الأصحاب، والتنكيل بالأتباع، والجراح في البدن، وفزع التهديد، والوعيد، وأهوال الغزوات.
- وصبر على بطر الأغنياء، وزهو الكبراء، وشراسة الأدعياء، وجلافة الأعراب، وصلف الجهلة، وسوء أدب الجفاة.
- وصبر على خيانات اليهود، ومراوغة المنافقين،و مجابهة المشركين، وبطء استجابة المدعوين.
- ثم صبر على فرح الفتح، وسرور الانتصار، وجلبة إقبال الدنيا، وإذعان الملوك، واستسلام الجبابرة، ودخول الناس في دين الله أفواجاً.
- صبر وهو يرى الكنوز تفرغ في أوعية الناس فلم يأخذ منها درهماً واحداً.

- صبر وهو يشاهد القناطير المقنطرة من الذهب والفضة يتقاسمها الناس ولم يحمل منها قطميراً.
- صبر وهو يحوز قطعان الإبل والبقر والغنم والآكام، ثم يوزعها على مسلمة الفتح، ولم يظفر بجمل أو بقرة أو شاة، وصبر على سكنى بيت الطين وعلى أكل الشعير، وعلى افتراش الحصير، وعلى ركوب الحمار، وعلى لباس الصوف.
- الأب مات ولم يره، والجد فارق الدنيا ولم يحطه برعاية، والعم ذهب وقت النضال، وخديجة – رضي الله عنها – ودعت يوم الحزن، والابن سالت روحه يوم تمام الحب، وعائشة ترمى ساعة كمال الأنس، وحمزة يُقتل زمن المصاولة.
- أنس بالمدينة فنغص عليه المنافقون أنسه، واستبشر بالنصر في بدر فأسرعت إليه غصة الألم في أحد، أزهر وجهه كالقمر ليلة البدر فشج بالسهام، وتلألأت أسنانه كالبرد، فكسرت ثنيته في المعركة، سبقت ناقته الإبل فسبقتها أعرابي على قعود، ليبقى أجره في الآخرة موفوراً وسعيه عند ربه مشكوراً، وليلقى ربه مسروراً، ليجتمع له الثواب كله، أوله وآخره، قديمه وحديثه، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.
- واستحق ذلك لأنه صبر – صلوات الله وسلامه عليه. كذبوه، شتموه، آذوه، فنزل: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [1] . حاربوه، نازلوه،

(١) سورة ص، الآية: ١٧.

طارده، قاتلوه، فنزل: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾[١]، طال عليه المدى، ترقب النصر، كثر العدو، تزاحمت النكبات فنزل: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[٢].

- فصبر صبراً جميلاً في كل مقامات العبودية، صبر في رضاه، وغضبه، وسلمه وحربه، وغناه وفقره، فصار إمام الصابرين وقدوة الشاكرين.

وإذا كان سيد ولد آدم ﷺ لم يسلم من المصائب، فمن باب أولى أن المسلم لا بد أن يصاب ويمتحن، وليس له إلا الصبر والاحتساب إن أراد ثواب الدنيا وحُسن العافية في الآخرة، اللهم ثبتنا في سنته وسيرته ﷺ[٣].

فالصابر يعيش بصبره، في نعيم، والجازع يعيش بجريمة، في جحيم – نعوذ بالله منه – سجن الصابر جُنة، وبليته عطية، ومحنته منحة، وفقره غنى، ومرضه عافية.

- صبر آدم – عليه السلام – على مفارقة الوطن الأول من الجنة.
- وصبر نوح – عليه السلام – على فقد الولد.
- وصبر إبراهيم – عليه السلام – على مقام ذبح الابن.
- وصبر يعقوب – عليه السلام – على فراق يوسف – عليه السلام.
- وصبر موسى – عليه السلام – على أذى الطاغية.

---

(١) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٣) شفاء الروح للمريض والمجروح، أبو طلحة، محمد يونس عبدالتار، ص٤٠-٤١، ط٣، ١٤٢٨هـ. مطابع الوحيد، مكة المكرمة.

- وصبر داود – عليه السلام – على مرارة الندم.
- وصبر سليمان – عليه السلام – على فتنة الدنيا.
- وصبر عيسى – عليه السلام – على ألم الفقر.

فهنيئاً لهم وطوبى لهم وقد مدحهم رب العالمين لا إله غيره ولا رب سواه.

قصص في الصبر

قصة النبي أيوب – عليه السلام

صبر واختبار وابتلاء:

يقول سبحانه وتعالى عن أيوب – عليه السلام – لما مسّه الضرُّ: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

فقد أصيب سيدنا أيوب – عليه السلام – بمرض في جسده مكث ثمانية عشر عاماً لا يهدأ، لا يذوق طعاماً ولا يتلذذ بشراب، ولا يكتحل بمنام. فلما مضى عليه ثمانية عشر عاماً من المرض – كما قال أهل التفسير – عادت وقالت له زوجته: لِمَ لا تشكي إلى الله عز وجل؟ لِمَ لا تعرض نجواك وشكواك على الواحد الأحد؟ فإنه يكشف الضر، ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[2].

فأبى أيوب – عليه السلام – أن يدعو الله – بل دعا ولكنه لم يصرخ – وانظر إلى حسن الأدب في قولـه: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[3]. أنا المريض وبيدك الشفاء، فإن كنت ترى أني قد أصبحت في حال ترضى لي العافية. فعافني يا رب، فأحب الداء إلى ما أحببته أنت، أو الأمر ما أجبته أنت[4].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.

(٤) المختار من قصص الأخيار، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ص١٣٣، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

فقصة ابتلائه – عليه السلام – وصبره فريدة وعجيبة، فقد كان ذا مال كثير وأرض وزرع وضرع وأولاد وحشم وخدم وأتباع، فسلبه الله كل ذلك. ففقد الأهل والولد والمال والجاه وتفرق عنه القريب قبل البعيد، والحبيب قبل العدو، إضافة إلى ذلك نزلت بساحته من الأمراض ما لا يتحمله بشر، حتى وصلت به الحال أن تساقط لحمه ولم يبق به سوى العظم والجلد. وكانت امرأته (رحمة) هي الوحيدة الصابرة معه في امتحانه ذلك، وكانت تفرش تحته الرماد.

وكان من شدة أمراضه وما يفوح منها من رائحة كريهة أن ألقي به على مرمى خارج بلدته. وكانت زوجته الصابرة تعمل خادمة في بيوت القرية لتأتيه بالطعام.

ولما بدأ أهل القرية يتذمرون ويتشائمون منها لحالة زوجها، عمدت إلى قص ضفائرها وبيعها وأتته بطعام جيد، عندها رفض أن يأكل حتى تخبره عن مصدر الطعام. فكشفت له – رضي الله عنها – عن رأسها فرآه حليقاً عندها فقط لجأ بالدعاء إلى ربه قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[1].

وإن امرأة أيوب – عليه السلام – قالت له: لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها: ويحك كنا في النعماء سبعين عاماً أفلا نصبر على الضراء مثلها؟ فلم يلبث إلا يسيراً حتى عوفي، حيث رزقه الله بعد محنته وجزاء صبره بـ(٢٦ ولداً) أكبرهم (بشرا) الذي نبأه الله بعد ويعرف بـ(ذي الكفل) وقد عاش – عليه السلام ٩٣ سنة[2].

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٤.

(٢) مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام، السيد محمد الخياري، ص١٠٨، ط٥، المدينة المنورة.

قال ﷺ: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**» (١).

فأول ما يخفف الابتلاء والمصائب قضية الإيمان بالقضاء والقدر. فمن لم يؤمن بالقضاء والقدر فلا قبل الله له صرفاً ولا عدلاً ولا كلمة ولا زكاة وله عذاب أليم.

أخي القارئ أختي القارئة: والحكمة الربانية من ابتلاء عباده، هي لاختبارهم، وإعلامهم بأن طاعته وعبادته، وتصديق رسله وأنبيائه، لا بد وأن تمحص بأنواع من الابتلاءات والمصائب، حتى يزدادوا إيماناً وتقرباً إلى ربهم سبحانه، بصبرهم وتصديقهم بأن ما عند الله خيرٌ وأبقى من الدنيا وما فيها. من ملذات وشهوات وغيرها، التي جعلها سبباً للذين غربتهم الدنيا وفتنتهم بزينتها الفانية. كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨** ﴾ (٢).

وكان لهذا الصبر الذي شهد الله به أكثر من ثمرتها:

١- معافاة أيوب - عليه السلام - من الأمراض. وكان العلاج من الرب تبارك وتعالى إذ أمر أيوب - عليه السلام - وألهمه أن يركض الأرض برجله الضعيفة الكليلة، وإذا بالماء يتفجر من تحت عقبه، وكان هذا الماء غذاء ودواء، فشرب منه فكان غذاء، واغتسل منه فكان غذاء، واغتسل منه فكان دواءً وشفاءً. قال سبحانه:

---

(١) أخرجه الحاكم.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٧، ٨.

﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ ﴾[١]. يا له من إله كريم، ذي قدرة إلهية معجزة، لا تدانيها قدرة، تأمل! إن هذه الرِجْل الكليلة الهزيلة الضعيفة، لا تكاد تتحرك، يحركها أيوب – عليه السلام – بإلهام من ربه حركة ضعيفة خفيفة، وإذا بهذه الضربة الخفيفة بإذن الله تفجر الماء، نعم لقد كانت الضربة في الظاهر من أيوب – عليه السلام – وفي الحقيقة كانت من الله عز وجل، فهو الذي فجر الماء دواء وغذاء.

٢- عوّض الله تبارك وتعالى – أيوب – عليه السلام – عن أولاده الذين ماتوا بأكثر منهم، إذ أقدره على الإنجاب بعد هذا المرض الذي أقعده وقتاً طويلاً. قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[٢].

٣- لقد أعاد الله له أمواله.

٤- أصلح الله تبارك وتعالى بين أيوب وبين زوجته التي عاشت معه المحنة وقساوتها وضيقها.

كل هذا حدث بعد النجاح في الابتلاء والصبر على الضراء والتوجه إلى الله وحده بالدعاء والضراعة. فهو وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه، قال سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[٣].

(١) سورة ص، الآية: ٤٢.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٤.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.

وإذا أحب الله عبداً ابتلاه، لقد كان الله تبارك وتعالى يحب أيوب – عليه السلام – ومن أمارات هذا الحب أن الله ابتلاه، فقد جاء في الحديث: «**إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط**» [(١)] .

أخي القارئ: قيل لأيوب – عليه السلام: يا أيوب، لا تعجبن بصبرك، فإني قد علمت ما يمتص كل شعرة، من لحمك ودمك، ولولا أني أعطيت موضع كل شعرة منك صبراً ما صبرت [(٢)] .

❊❊❊

(١) رواه الترمذي.

(٢) الصبر والثواب عليه، ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

الصّبر خير مطية

روى البيهقي – عن ذي النون المصري – قال: كنت في الطوّاف وإذا أنا بجاريتين قد أقبلتا وأنشأت إحداهما تقول:

صبرت وكان الصبر خير مطية وهل جزع مني يجدي فأجزع
صبرت على ما لو تحمل بعضه جبال برضوى أصبحت تتصدع
ملكت دموع العين ثم رددتها إلى ناظري فالعين في القلب تدمع

فقلت: من ماذا يا جارية؟

فقالت: من مصيبة نالتني لم تصب أحداً قط.

قلت: وما هي؟

قالت: كان لي شبلان يلعبان أمامي، وكان أبوهما ضحَّى بكبشين فقال أحدهما لأخيه: يا أخي، أريك كيف ضحى أبونا بكبشته؟

فقام وأخذ شفرة فنحره وهرب القاتل.

فدخل أبوهما فقلت: إن ابنك قتل أخاه وهرب. فخرج في طلبه، فوجده قد افترسه السبع، فرجع الأب فمات في الطريق ظمأ وجوعاً.

ولو تأملت – أخي القارئ – في هذه الحياة، لرأيتها كلها منوطة بالصبر، وإذا تأملت النقصان الذي يذم صاحبه، تعلمت أن سببه هو عدم الصبر، فالشجاعة والعفة والجود والإيثار، ليست إلا ثمرة من ثمرات الصبر، ولو تأملت الأسقام من الأبدان والقلوب لعلمت أنها تنشأ عن عدم الصبر، فما

حُفظت الصحة بمثل الصبر، ولو لم يكن من فوائد الصبر إلا معية الله تعالى ومحبته للصابرين لكانت خيراً وعطاءً مباركاً لأهله، كما وعد سبحانه الصابرين، بأن لهم الخير، بل كل الخير، إن هم صبروا ابتغاء مرضاته قال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (١).

❁❁❁

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

عظة في الصبر

روي أن طيراً في عهد سليمان - عليه السلام - كان له صوت حسن وصورة حسنة اشتراه رجل بألف دينار، وجاء طيرٌ آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار، فسكت الطير الذي في القفص، وشكا الرجل إلى سليمان - عليه السلام - فقال: أحضروه. فلما أحضروه قال سليمان - عليه السلام: لصاحبك عليك حق، اشتراك بثمن غالٍ فلم سكتَّ؟

فقال الطير: يا نبي الله: إنما كنت أصيح جزعاً وشوقاً لأقراني وطلباً للسراح من القيد والحبس، فأتى طائر من جنسي وأمرني بالصبر وأفهمني أن اللجاج يزيد في كربتي وأن ذلك الرجل إنما حبسني من أجل صوتي فسكتُّ. فأطلقه سليمان - عليه السلام - وأعطى صاحبه ثمنه.

❊❊❊

أجر عبادة الله مع الصبر

حكي أن امرأة حبيب العجمي ألحت عليه أن يعمل بالأجرة طلباً للسعة في الرزق. فخرج من بيته وعَبَدَالله إلى الليل، فعاد إلى بيته وليس معه شيء، فلما سألته امرأته قال: عملت لعظيمٍ كريم واستحييت أن أطلب الأجرة. فلما مضى عليه ثلاثة أيام قالت: اطلب الأجرة أو اعمل لغيره أو طلقني. فخرج من بيته وعَبَدَالله إلى الليل، فلمّا عاد إلى منزله وجد رائحة الطعام وامرأته مستبشرة، فقالت: إن الذي عملت له أرسل إلينا أشياء عظيمة وكيساً مملوءاً ذهباً، فبكى حبيب، وقال: إنه من عند الله الكريم، فلما سمعت المرأة تابت، وحلفت ألا تعود إلى مثله أبداً.

الصبر على الطاعة أهون من الصبر على المعصية

الكمَّل هم الصابرون بأعلى درجات الصبر، فقد ورد أن من صبر على المعصية له تسعمائة درجة، ومن صبر على الطاعة له ستمائة درجة، ومن صبر على البلاء له ثلاثمائة.

أما السبب في تفاوت الدرجات فإن الصبر على المعصية لا يكون إلا ممن صبّره الله تعالى على شهوات الدنيا التي حُفَّت النار بها.

الصبر على البلاء [١]

قال الحسن – رضي الله عنه: سمعت من جدي رسول الله ﷺ يقول: «**يا بني! عليك بالقنوع تكن من أغنى الناس، وأداء الفرض تكن من أعبد الناس. يا بني! إن في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يُنشر لهم ديوان، ولا يُنصب لهم ميزان، يُصبُّ عليهم الأجر صباً**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [٢].

❁❁❁

المنزلة تنال بالصبر على البلاء [٣]

قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا سبقت له من الله تعالى منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله**».

وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء. وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط.

❁❁❁

---

(١) قصص الصالحين، مأمون الصاغرجي، وعدنان عبد ربه، محمد أديب الجادر، ص٤٧، ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، دمشق.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٣) مصدر سابق، ص٤٩.

أعبد أهل الأرض أصبرهم على البلاء

روي في بعض الأخبار: أن يونس وجبريل – عليهما السلام – التقيا: فقال يونس لجبريل – عليهما السلام: دُلني على أعبد أهل الأرض، فأتى به إلى رجل قد قطع الجُذام يديه ورجليه فإذا هو يقول: متعتني بهما حيث شئت، وسلبتهما مني حيث شئت، وأبقيت لي منك الأمل، يابر، يا وصول.

فقال يونس – عليه السلام: يا جبريل، إنما سألتك أن تريني صوَّاماً قواماً.

قال: إن هذا كان قبل البلاء هكذا، وقد أمرت أن أسلبه بصره. فأشار إلى عينيه فسالتا. فقال: متعتني بهما حيث شئت، وسلبتهما مني حيث شئت، وأبقيت لي فيك الأمل يابر، يا وصول.

فقال جبريل – عليه السلام: هل تدعو وندعو معك أن يردَّ عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود إلى العبادة التي كنت فيها؟

فقال: ما أحب ذلك.

فقال يونس – عليه السلام: يا جبريل، تالله ما رأيت أحداً أعبد من هذا.

فقال جبريل – عليه السلام: يا يونس، هذا طريق لا يُوْصل إلى رضا الله تعالى بشيء أفضل منه.

❊❊❊

الصبر على المرض وعدم الشكوى سبب في الشفاء

روي عن سعيد المقبري قال: سمعت أبا هريرة – رضي الله عنه – قال: قال الله تبارك وتعالى: إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عوّاده، أنشطته من عقال، وبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، ويستأنف العمل.

❊❊❊

أشد الناس بلاءً (١)

عن أبي سعيد – رضي الله عنه – أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك (محموم) عليه قطيفة، فوضع يده فوق القطيفة فقال: ما أشدَّ حماك يا رسول الله! قال: «**إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر**»، ثم قال: يا رسول الله، من أشد الناس بلاءً؟ قال: «**الأنبياء**»، قال: ثم من؟ قال: «**العلماء**»، قال: ثم من؟ قال: «**الصالحون، كان أحدهم يُبتلى بالقمل حتى يقتله ويُبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها، ولأحدهم كان أشدَّ فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء**».

❊❊❊

(١) دليل السائلين، أنس إسماعيل أبو داود، ص٣٨٦.

بارك الله لكما في ليلتكما [١]

أراد سيدنا أبو طلحة الأنصاري - رضي الله عنه - أن يسافر وكان له غلام وحيد. ومرض الغلام وذهب أبوه متاجراً وأحضر الغلام فقبله وذهب وراء تجارته. وأثناء غياب الأب مات الولد، فقامت أم سليم - رضي الله عنها - تغسله وتكفنه وتصلي عليه وتدفنه. ورجع أبو طلحة إلى بيته بعد انقضاء مدة سفره، فاستقبلته زوجته وباتا ليلتهما معاً، ولم تخبره بأمر ابنيهما حتى الصباح. فذهب إلى الرسول ﷺ وأخبره بما حدث، فقال له الرسول ﷺ: «**بارك الله لكما في ليلتكما**».

❊❊❊

(١) مصدر سابق، ص٣٨٧.

كان مثلاً صالحاً للمؤمن الصابر

كان عروة بن الزبير، أحد فقهاء التابعين في الإسلام، مثلاً صالحاً للمؤمن الصابر الراضي، المقدر لنعم الله، فقد روي أن رِجْلَهُ وقعت فيها الأكلة، فقرر الأطباء قطعها حتى لا تسري إلى ساقه كلها ثم إلى فخذه، وربما ترقت إلى جسده فأكلته، فطابت نفسه بنشرها، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها، فقال: ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل، ولكن دعوني أصلي لله ركعتين وفي آخر صلاتي اقطعوها، فقطعوها في آخر صلاته وهو صامت لا يدري ولا يحس ولا يتكلم، ولا يعرف أنه أنَّ (اشتكى).

وشاءت إرادة الله أن يُبتلى الرجل على قدر إيمانه، ففي الليلة التي قُطعت رجله سقط ابن له، كان أحبَّ أبنائه إليه، من سطح فمات، فدخلوا عليه فعزوه فيه، فقال: اللهم لك الحمد، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة، وكان لي أربعة أطراف فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة، فإن كنت أخذت فلقد أعطيت، ولئن كنت قد ابتليت فقد عافيت[1].

❊❊❊

---

(١) مصدر سابق، ص٣٨٧.

صبر رجل مقطوع اليدين إلى الإبطين [١]

حصل أن الشيخ أبو طلحة كان بالمسجد النبوي الشريف ذات يوم ينتظر قيام صلاة العشاء، وإذا برجل يتمايل في مشيه يمنة ويسرة قد حضر لأداء الصلاة، سواعده مقطوعة إلى الإبطين، وصاحبه واضع يده على رقبته لئلا يختل توازنه. فيسقط وقف الرجل بجانب الشيخ وبدأ يصلي، والشيخ يتأمل وينظر إليه ويفكر بعيداً حتى قامت الصلاة، وانتهيا من الصلاة. حيث عاد الشيخ إلى بيته. ووضع رأسه للنوم إلا أنه لم يستطع النوم؛ لأنه كان يفكر في ذلك الرجل ويقول:

- هل يستطيع أن يأكل أو يشرب بنفسه؟
- هل باستطاعته أن يلبس بنفسه ملابسه؟
- هل يستطيع أن يغطي نفسه بالبطانية في الليالي الباردة؟ في حين الإنسان يحتاج إلى أن يغطي نفسه مرات ومرات لئلا يصيبه البرد، وهل هناك شخص يترك مرقده الدافئ ويخدم هذا الشخص المحتاج؟
- هل يستطيع أن يدفع الأذى عن نفسه ويظهّر جسمه بلا معين؟
- كيف له أن يحك داخل أذنه أو أحد أعضائه إن احتاج؟
- كيف له أن يتوضأ ويغسل أعضاءه؟

---

(١) شفاء الروح للمريض والجروح، الشيخ أبو طلحة محمد يونس عبدالستار، ص٥٠، ط٣، ١٤٢٨هـ، مكة المكرمة.

- كيف يمسح النوم من عينيه عند استيقاظه؟
- وهل له زوجة يلاعبها وتلاعبه؟
- كيف يفتح باب بيته؟ أو أنه ينتظر شخص ما ليفتح له؟
- كيف ظنه بربه سبحانه؟ وهل يشكر الله على حالته أم لا؟ وكيف يفعل هذا وذاك؟ وكيف وكيف؟
- سلسلة من الأسئلة أثارت بال الشيخ حول حال هذا الرجل، ولم يصل إلا إلى أنه لا يستطيع عمل أي شيء تُستعمل فيه الأيدي.
- من أين له أن يصيب من نعيم هذه النعم الدنيوية، نعم حظه في الجنة إن شاء الله كبير إن صبر وشكر على ما قدره الله له، وأتى بالفرائض والواجبات.
- قرر الشيخ أن يبحث عن هذا الرجل غداً ويسأله عن إحساسه في حالته هذه، وما ظنه بربه سبحانه؟
- وفي اليوم التالي حسب عادة الشيخ ذهب إلى المسجد النبوي الشريف لأداء صلاة العشاء، وشرع في البحث عن الرجل، دخل المواضئ للوضوء، فإذا بالرجل يجلس بجانب الشيخ، حاول أن يفك حنفية الماء بفمه، فتح الشيخ له الحنفية، خاطبه قائلاً: شكراً لك يا بني.
- أخذ الماء بفمه ليتمضمض، وأثناء ذلك حضر صاحبه أو خادمه ووضأه وضوءاً كاملاً ثم أخذه إلى المسجد فتبعهم الشيخ إلى أن دخلوا المسجد وصلَّى الشيخ بجانب الرجل. وتحدث معه وسأله: أي

عم! فكرت بالأمس كثيراً في حالتك، هل لك أن ترد على سؤالي؟ فأجاب: نعم سل وسأرد عليك.

- قال له الشيخ: أي عم: هل أنت راضٍ عن الله وقد قدر لك هذه الحالة التي أنت عليها؟ تبسم وقال: حسبي الله ونعم الوكيل، ثم قرأ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[1]. ثم تلا: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]. ثم قرأ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[3].ثم قال: ولا أقول إلا كما قال نبي الله يعقوب – عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[4].

- وقال: نعم أنا راضٍ عن ربي، وأشهدك على ذلك، وأنا راضٍ عن نبيي محمد ﷺ، وأدعو الله سبحانه وتعالى ألا يذلني يوم القيامة، آمين يا رب العالمين.

- ثم تبع ذلك قائلاً: يا بني: ألا تفكر في أن الله إن حرمني من هاتين اليدين فقد عصمني من أفعال كثيرة غير محمودة يفعلها الناس، وربما

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٢) سورة الحديد، الآيتسان: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٦

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

رحمني الله بلطفه وأدخلني بفضله الجنة بسبب أنني محروم اليدين، وربما إن كانت لي يدان دخلت بسببهما النار، فأنا أعتقد جزماً أن هذا رحمة الله وكرمه علي ولطفه، بي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

قال الشيخ أبو طلحة: والله لقد وجدته جبلاً من الصبر، وكان حافظاً للقرآن أتى للعمرة من باكستان، وجدته راضٍ عن مولاه رغم أنه قدر عليه الحياة بلا يدين، رأيته يوصي الناس خيراً، ويدعو الله سبحانه وتعالى أن لا يخزيه يوم القيامة .. جزاه الله الجزاء الحسن.

❊❊❊

(١) سورة يونس، الآية: ٤٤.

ابتلاه الله ذهاب يديه ورجليه ويصبر [١]

عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي قال: حدثني بعض الحكماء، قال: خرجت وأنا أريد الرِّباط [٢] حتى إذا كنت بعريش مصر، أو دون عريش مصر، إذا أنا بمظلة، وإذا فيها رجلٌ قد ذهبت يداه ورجلاه وبصره، وإذا هو يقول: «**اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك، كفضلك، على سائر خلقك، إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً**».

فقلت: والله لأسألنه أعلّمهُ أم أُلهمه إلهاماً؟

قال: فدنوت منه، فسلمت عليه، فرد عليَّ السلام، فقلتُ: إني سائلك عن شيء أتخبرني به؟

قال: إن كان عندي منه علمٌ أخبرتك به.

فقلت: على أيِّ نعمةٍ من نعمه تحمده عليها، أم على أيِّ فضيلةٍ من فضائله تشكره عليها؟

قال: أليس ترى ما قد صنع بي؟

قال: قلت: بلى!

قال: فوالله لو أن الله سبحانه صبَّ علي السماء ناراً فأحرقني، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فغرقتني، وأمر الأرض فخسفت بي، ما ازددت

---

(١) الصبر والثواب عليه، ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ص٦٨، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار ابن حزم – بيروت.

(٢) هو المقام في الثغر للجهاد.

له إلا حباً، ولا ازددت له إلا شكراً! وإن لي إليك حاجة، بُنيٌّ لي كان يتعاهدني لوقت صلاتي، ويطعمني عند إفطاري، وقد فقدته منذ أمس، انظر هل تُحسه لي؟

فقلت: إن في قضاء حاجة هذا العبد لقربةً إلى الله.

قال: فخرجت في طلبه، حتى إذا كنت بين كثبان من الرمال، إذا أنا بسبعٍ قد افترس الغلام يأكله.

قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، كيف آتي هذا العبد الصالح من وجهٍ رفيق فأخبره الخبر لا يموت؟

قال: فأتيته، فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: إني سائلك عن شيء أتخبرني به؟

قال: إن كان عندي منه علمٌ أخبرتك به.

قال: قلت: أنت أكرم على الله منزلة أم أيوب – عليه السلام؟

قال: بل أيوب – عليه السلام – كان أكرم على الله مني، وأعظم منزلة عند الله مني.

قال: قلت: أليس ابتلاه الله فصبر، حتى استوحش منه من كان يأنس به وصار غرضاً لمرار الطريق؟

قال: بلى.

قلت: فإن ابنك الذي أخبرتني من قصته ما أخبرتني، خرجتُ في طلبه، حتى إذا كنت بين كثبانٍ من رمال، إذا أنا بسبعٍ قد افترس الغلام يأكله.

فقال: الحمد لله لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا. ثم شهق شهقة فمات رحمه الله.

قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، من يعينني على غسله وكفنه ودفنه؟

قال: فبينما أنا كذلك، إذا أنا بركب قد بعثوا رواحلهم يريدون الرباط.

قال: فأشرت إليهم، فأقبلوا إليَّ فقالوا: ما أنت وهذا؟

فأخبرتهم بالذي كان من أمره.

قال: فثنوا أرجلهم، فغسلناه بماء البحر، وكفناه بأثواب كانت معهم، ووليت الصلاة عليه من بينهم، ودفناه في مظلته تلك.

ومضى القوم إلى رباطهم وبت في مظلته تلك الليلة أنساً به. فلما مضى من الليل مثل ما بقي منه، إذا أنا بصاحبي في روضة خضراء، عليه ثياب خضر، قائماً يتلو الوحي.

فقلت: ألست أنت صاحبي؟

قال: بلى.

قلت: فما الذي صيّرك إلى ما أرى؟

قال: وردت من الصابرين على درجة لم ينالوها إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء.

قال الأوزاعي: قال لي الحكيم يا أبا عمرو. وما تُنِكر من هذا الولي؟ والاه، ثم ابتلاه. فصبر، وأعطاه فشكر؟ والله لو أن ما حنت عليه أقطار الجبال، وضحكت عنه أصداف البحار، وأتى عليه الليل والنهار، أعطاه الله أدنى خلق من خلقه، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً.

قال الوليد: قال لي الأوزاعي: ما زلتُ أحب أهل البلاء منذ حدثني الحكيم بهذا الحديث.

❊❊❊

المواعظ في الصبر [١]

- قال يحيى بن معاذ: «صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين».
- وعن عمرو المكي أنه قال: «من صبر على رؤية العوض يكون صبره مشوباً، ومن صبر على رؤية المنة يكون متلذذاً بالبلاء كمن يكون متلذذاً بالنعمة».
- وقال شاه بن شجاع: «علامة الصبر ثلاثة أشياء: قبول القضاء بحلاوة القلب، وترك الشكوى، وصدق الرضا».
- وعن الجريري قال: «الصبر ألا يفرق العبد بين حال النعمة والمحنة، مع سكون النفس والخاطر فيهما، والتصبر هو السكون مع البلاء، مع وجدان أثقال المحنة».
- وعن داود الطائي أنه قال: كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب في كل وقتٍ وزمان؟
- وعن الأصمعي قال: «دخلت البادية، فرأيت أعرابية من أحسن الناس وجهاً، ورأيت زوجها من أقبح الناس وجهاً، وهي تقول لزوجها: بشرى لك فإني وإياك في الجنة. فقال لها: وما علمك من ذلك؟ فقالت: لأني ابتليت بقبحك فصبرت، وموضع الصابرين الجنة، ورزقت أنت بحسني فشكرت، ومضوع الشاكرين الجنة».

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق، محمود الفارياني، خرج وهذب أحاديثه محمد خير رمضان يوسف، ص٤٢٧، ط١، دار ابن حزم – بيروت، مجلد أول.

- وحكي أن أبا حنيفة – رحمه الله – عزّى أبا جعفر المنصور العباسي في ابن له مات يسمى جعفر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى لجعفر خيرٌ منك لجعفر، وثواب الله لك في جعفر خير لك من جعفر».

- وعن الأصمعي أنه قال: أصيبت امرأة من الأعراب بابن لها مات وأحسنت العزاء والصبر، فقيل لها: ما رأيناك جزعت على ابنك؟ فقالت: إن القلب يحترق، والكبد ينقطع، ولكن آثرت طاعة الله على محبة الشيطان.

- وقال أهل الإشارة في بيان حقيقة الصبر: «إن الصبر ينتظم من ثلاثة أشياء: من العلم، والحال، والعمل. والعلم كالشجر، والحال كالغصن، والعمل كالثمر. وإن الإنس والبهائم مطبوعتان على الشهوات».

- وعن ابن المبارك أنه قال: «لا تجزع من الهموم إذا نزلت بك، فإنها بمنزلة ضيف من الله نزل بك، فأحسن صحبته حتى يرتحل وهو عنك راضٍ، وأنت بإتيانه مغفور لك».

- وحكي أنه عثرت امرأة فتح الموصلي، فانقطع ظفر رجلها، فضحكت فقيل لها: هذا وقت الضحك؟ أما تجدين مرارة الوجع؟ قالت: إن لذة الثواب أزالت عني مرارة الوجع.

- وقال الفضيل: لله تعالى في السراء نعمة التفضل، وفي الضراء نعمة التطهير. فكن في السراء عبداً شكوراً، وفي الضرّاء حراً صبوراً.

- وقال الأحنف: «لا تشاور الجائع واصبر حتى يشبعِ، ولا المضلَّ حتى يجد، ولا الراغب حتى ينجح، ولا الماشي حتى يسكن، ولا القائم حتى يقعد».

- وعنه – رحمه الله: «من لم يصبر على كلمةٍ سمع كلمات، وربَّ غيظ قد تجرعته مخافة ما هو أشدُّ منه».

- وُحكي عن حكيم أنه قال: أدنى أخلاق الشريف كتمان السر، وأعلى أخلاقه نسيان ما أُسِرّ إليه، وأعظم شأنه تحمل ما نزل به.

الصبر مرٌّ كالصَّبِر لكنه حلو الثَّمر
إن كان مغرسه العنا قد كان مجناه الظَّفر

❊❊❊

أقوال الحكماء في الصبر [(١)]

- يحكي عن أنو شروان أنه قال: جميع المكاره في الدنيا تنقسم على ضربين: فضرب فيه حيلة، فالاضطراب دواؤه، وضربٌ لا حيلة فيه بالاصطبار شفاؤه.
- كان بعض الحكماء يقول: الحيلة فيما لا حيلة فيه، الصبر.
- وكان يقال: من اتبع الصبر، اتبعه النصر.
- ومن الأمثال السائرة: الصبر مفتاح الفرج، من صبر قدر، ثمرة الصبر الظفر، عند اشتداد البلاء يأتي الرخاء.
- وكان يقال: خَف المضار من خلل المسار، وارجُ النفع من موضع المنع، واحرص على الحياة بطلب الموت، فكم من بقاء سببه استدعاء الغناء، ومن فناء، سببه إيثار البقاء، وأكثر ما يأتي الأمن من قِبلَ الفزع.
- والعرب تقول: إن في الشر خياراً.
- قال الأصمعي: معناه: أن بعض الشر أهون من بعض.
- وقال أبو عبيدة: معناه: إذا أصابتك مصيبة، فاعلم أنه قد يكون أجل منها، فلتهن عليك مصيبتك.
- قال بعض الحكماء: عواقب الأمور تتشابه في الغيوب، فرب محبوب

---

(١) لا تحزن، الشيخ الدكتور/ عائض القرني، ص٣٥٣، ٣٥٤.

في مكروه، ومكروهٍ في محبوب، وكم مغبوط بنعمةٍ هي داؤه، ومرحومٍ، من داء هو شفاؤه.

- وكان يقال: رب خير من شر، ونفع من ضر.
- وقال وداعة السهمي، في كلام له: اصبر على الشر إن قدحك، فربما أجلى عما يفرحك، وتحت الرغوة اللبن الصريح. يأتي الله بالفرج عند انقطاع الأمل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾[1]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾.
- يقول بعض الكتاب: وكما أن الله جل جلاله يأتي بالمحبوب من الوجه الذي قدر ورود المكروه منه، ويفتح بفرج عند انقطاع الأمل، واستبهام وجوه الحيل، ليحض سائر خلقه بما يريدهم من تمام قدرته، على صرف الرجاء إليه، وإخلاص آمالهم في التوكل عليه، وألا يزووا وجوههم في وقت من الأوقات عن توقع الروح منه، فلا يعدلوا بآمالهم على أي حال من الحالات، وعند انتظار فرج يصدر عنه، وكذلك أيضاً يسرهم فيما ساءهم بأن كفاهم بمحنة يسيرة ما هو أعظم منها، وافتداهم بمُلمة سهلة، مما كان أنكى فيهم لو لحقهم.

لعلَّ عتبك محمودٌ عواقبه فربما صحَّت الأجسام بالعلل

- قال إسحاق العابد: ربما امتحن الله العبد بمحنة يخلصه بها من الهلكة، فتكون تلك المحنة أجل نعمة.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١٠.

- يقال: إن من احتمل المحنة ورضي بتدبير الله تعالى في النكبة، وصبر على الشدة، كشف له عند منفعتها، حتى يقف على المستور عنه من مصلحتها.
- حُكي عن بعض النصارى أن بعض الأنبياء – عليهم السلام – قال: المحن تأديبٌ من الله، والأدب لا يدوم، فطوبى لمن تصبر على التأديب، وتثبت عند المحنة، فيجب له لبس إكليل الغلبة، وتاج الفلاح، الذي وعد الله به محبته وأهل طاعته.
- قال إسحاق: احذر الضجر، إذا أصابتك أسنة المحن، وأعراض الفتن، فإن الطريق المؤدي إلى النجاة صعب المسلك.
- قال بزر جمهر: انتظار الفرج بالصبر، يعقب الاغتباط.

أقوال السلف عن الصبر والصابرين

- قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «اصبروا على عمل لا غنى لكم عن ثوابه، واصبروا عن عمل لا صبر لكم على عذابه».
- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «الصبر صبران، صبرٌ على ما تكره، وصبرٌ عما تحب».
- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه «يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر».
- وروي أن عيسى – عليه السلام – قال: «إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون».
- وورد في بعض الأخبار: «الفقراء الصُّبراء هم جلساء الله يوم القيامة».
- وقال عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله».
- وقال أبو الدرداء – رضي الله عنه: «ذروة الإيمان: الصبر للحكم، والرضا بالقدر».
- وقال ابن عباس – رضي الله عنه: «أفضل العدة الصبر على الشدة».
- وقال بعض الحكماء: «الصبر مفتاح الظفر، والتوكل على الله رسول النجاح».

- وقال بعض السلف: «اصبر لحكم من لا تجد معولاً إلا عليه، ولا مفزعاً إلا إليه».
- وقال أبو حاتم – رحمه الله: «الصبر جماع الأمر، ونظام الحزم، ودعامة العقل، وبذر الخير، وحيلة من لا حيلة له».
- وروي عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه: «وجدت الخير مجموعاً في أربعة: أولها: التحبب إلى الله تعالى بالنوافل، والثاني: الصبر على أحكام الله تعالى، والثالث: الرضا بتقدير الله عز وجل، والرابع: الحياء من نظر الله عز وجل».
- وقال سلمان الفارسي – رضي الله عنه: «لن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره».
- وقيل: «متى وجدت الإرادة والصبر، فلا يبقى شيء صعب».
- وقال علي لولده الحسين – رضي الله عنهما: «من كنوز الإيمان الصبر على المصائب».
- وقال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني، عليك بالصبر واليقين ومجاهدة نفسك، واعلم أن الصبر فيه الشوق والشفقة والزهد والترقب. فإذا صبرت عن محارم الله وزهدت في الدنيا وتهاونت بالمصائب، لم يكن شيء أحب إليك من الموت وأنت تترقبه».
- وقال الإمام بشر الحافي: «لا ينبغي أن يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من يروّض نفسه على الصبر على الأذى، ومعرفة الخير والشر لا تكفي وإنما لا بد فيها من العمل».

- وقال أحد التابعين: «الصبر الجميل ثمرة من ثمر العقل، ومن أخلاق الأنبياء والعظماء».
- وقال بعض السلف: «احتمال الفقر أحسن من احتمال الذل؛ لأن الصبر على الفقر قناعة، والصبر على الذل ضراعة».
- وقالوا: «ذروة الإيمان الصبر والرضا».
- وقالت عائشة – رضي الله عنها – لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً».
- كان خالد بن الوليد – رضي الله عنه – ينادي في ميدان المعركة: «يا أهل الإسلام، إن الصبر عز، وإن الفشل عجز، وإن النصر مع الصبر».
- قال الحواريون لعيسى – عليه السلام: «يا روح الله، كيف لنا أن ندرك جماع الصبر ومعرفته؟ قال: اجعلوا عزمكم في الأمور كلها بين يدي هواكم ثم اتخذوا كتاب الله إماماً لكم في دينكم».
- وقال أحدهم: «ليس من حسن الجوار ترك الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى».
- وقال الحسن البصري – رحمه الله: «الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله عز وجل إلا لعبد كريم عنده».
- قيل: «للصبر أسماء وما يقابلها: فالصبر عند المصيبة: سمي إيماناً. والصبر عند القتال: يسمى شجاعة. والصبر عند شهوة الأكل: يسمى قناعة، والصبر عند حفظ السر يسمى كتماناً. والصبر على تحمل الصديق: يسمى وفاءً. والصبر على مغويات الدنيا: يسمى زهداً».

- وقال يحيى بن معاذ – رحمه الله: «الصبر على الخلق من علامات الإخلاص».

- وقال أحد التابعين: «الصبر عناء، وبالله تعالى بقاء، وفي الله بلاء، ومع الله وفاء، وعن الله جفاء. والصبر على الطلب عنوان الظفر، وفي المحن عنوان الفرج».

- وقال آخر: «لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة».

- وقال الأحنف – رحمه الله: «لا تشاور الجائع واصبر حتى يشبع، ولا المضل حتى يجد، ولا الراغب حتى ينجح، ولا الماشي حتى يسكن، ولا القائم حتى يقعد».

- وعنه – رحمه الله: «من لم يصبر على كلمة سمع كلمات، ورب غيظ قد تجرعته مخافة ما هو أشد منه».

- وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، الصبر على المهالك من حسن اليقين، ولكل عمل كمال وغاية، وكمال العبادة الورع، واليقين».

- وقال محمد بن منازل: «الصبر حصنٌ من حصون الصدق، ومنه يرحل إلى الآخرة».

- وقال الأحنف – رحمه الله: «لا تشاور الجائع واصبر حتى يشبع، ولا المضل حتى يجد، ولا الراغب حتى ينجح، ولا الماشي حتى يسكن، ولا القائم حتى يقعد».

- وعنه – رحمه الله: «من لم يصبر على كلمة سمع كلمات، ورب غيظ قد تجرعته مخافة ما هو أشد منه».
- سئل سفيان الثوري – رحمه الله: أيكون الرجل زاهداً وعنده مال؟ قال: «نعم إن كان إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر».
- وقال الخواص: «الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة».
- وقال ابن أبي الدنيا: «وجدت في الحكمة: الصبر على عشرة وجوه: الصبر عن المعاصي، والصبر على الفرائض، والصبر على الشبهات والصبر على الفقر، والصبر على الأوجاع، والصبر على المصائب، والصبر على أذى الناس، والصبر عن الشهوات، والصبر عن فضول الكلام، والصبر على النوافل».
- وقيل أيضاً: «خف المضار، من خلل المسار، وارج النفع من موضع المنع، واحرص على الحياة لطب الموت، فكم من بقاء سببه استدعاء الفناء، ومن فناء سببه إيثار البقاء، وأكثر ما يأتي الأمن قبل الفزع».
- وقال وداعة السهمي في كلام له: «اصبر على الشر إن قدحك، فربما أجلى عما يفرحك، وتحت الرغوة اللبن الصريح».
- وقال أحدهم: «إن من احتمل المحنة، ورضي بتدبير الله تعالى في النكبة، وصبر على الشدة، كشف له عن منفعتها، حتى يقف على المستور عنه من مصلحتها».
- وقال بزر جمهر: «انتظار الفرج بالصبر، يعقب الاغتباط».
- وقال ابن الجوزي – رحمه الله: «وليعلم العاقل أن البلايا ضيوف فليعد لها قرى الصبر».

- وقال بعض الحكماء: «العاقل في أول يوم من المصيبة يفعل ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم».
- وقال بعض السلف: «إذا أعجبك نفسك في قيام الليل فتذكر من هم أرفع منزلة منك، نائمون على فرشهم، هم أهل البلاء».
- وقال ابن القيم – رحمه الله: «الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، وكان حقيقاً على من نصح نفسه، وأحسب نجاتها، وآثر سعادتها، ألا يهمل هذين الأصلين، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين».
- وقال شريح – رحمه الله: «إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عز وجل عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، إذ لم يجعلها في ديني».
- وقال بعض السلف: «ذكر النعم يورث الحب لله، لما رأى رجلٌ قرحة في يد محمد بن واسع، ففزع منها، قال له: «الحمد لله أنها ليست في لساني ولا على طرف عيني، الحمد لله الذي فضلني على كثير من عباده: فقال: يرحمك الله وبماذا فضلك؟ قال: رزقني لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وجسداً على البلاء صابراً».
- ومما يروى أن أحد السلف لما برئ من مرضه فجاؤوا يهنئونه. فلما فرغ الناس من كلامهم قال الفضل بن سهل: «إن في العلل لنعماً لا ينبغي للعاقل أن يجهلها: تمحيص للصبر، وتعرض لثواب الصبر،

وإيقاظ من الغفلة، وإذكار بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء للمثوبة، وحض على الصدقة».

- وقال لقمان الحكيم لابنه: أرض بما قسم الله لك، فإنه سبحانه يقول: «أعظم عبادي ذنباً من لم يرضَ بقضائي، ولم يشكر نعمائي، ولم يصبر على بلائي».
- وقال ابن القيم - رحمه الله: «لما كان الصبر حبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله، والقلب عن التسخط، والجوارح عن اللطم وشق الثياب ونحوها، كان ما يضاده واقعاً على هذه الجملة، فمنها الشكوى إلى المخلوق على هذا الوجه بدون حاجة لذلك ومنها الهلع: وهو الجزع عند ورود المصيبة، ومنها إظهار المصيبة والتحدث بها».
- وقال لقمان الحكيم: «من صبر على احتمال مؤن الناس سادهم».
- سئل السري عن الصبر. فلدغه عقرب مراراً وهو ساكن، فقيل له: لِمَ لم تلقها عنك. فقال: استحيت من الله أن أتكلم في الصبر ولا أصبر».
- وقال لقمان لابنه: «يا بني: الصبر على المهالك من حسن اليقين، ولكل عمل كمال وغاية، وكمال العبادة الورع، واليقين، وغاية الشرف والسؤدد حسن العقل، فمن حسن عقله غطى عيوبه، وأصلح مساوئه، ورضي عنه مولاه».
- قيل إن امرأة أيوب - عليه السلام - قالت له: «لو دعوت الله تعالى

أن يشفيك»، فقال لها: «ويحك، كنا في النعماء سبعين عاماً، أفلا نصبر على الضراء مثلها»؟ وقال أحدهم: سمعت رجلاً مبتلى يقول: الصبر على منن الرجال أشد من الصبر على ما بي من البلاء.

- وعن سعيد بن عامر. قال كان صالح المرئ يدعو: «اللهم ارزقنا صبراً على طاعتك، وارزقنا صبراً عن معصيتك، وارزقنا صبراً على ما تحب، وارزقنا صبراً على ما نكره، وارزقنا صبراً عند عزائم الأمور».

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «يا ابن آدم لا تفرح بالغنى، ولا تقنط بالفقر، ولا تحزن بالبلاء، ولا تفرح بالرخاء، فإن الذهب يجرب بالنار، وإن العبد الصالح يجرب بالبلاء، وإنك لا تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي، ولن تبلغ ما تؤمل إلا بالصبر على ما تكره، وابذل جهدك لرعاية ما افترض عليك».

- وقال زياد بن عمرو: «كلنا نكره الموت وألم الجراح، ولكننا نتفاضل بالصبر» [(١)].

- وقال أهل المعرفة: «الصبر الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه».

- وقال ابن عطاء: «الصبر الوقوف مع الله بحسن الأدب».

- وقال رويم: «الصبرُ ترك الشكوى من ألم البلوى».

---

(١) روضة الأقوال والحكم والأمثال، مصطفى حقي، مقتبسة من ص١٠٨-١٠٣. دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- ويقول الأستاذ الفاضل والمؤلف: محمد خير رمضان يوسف: «الذين يبتسمون للمصائب، أو يظهرون الجلد عند النوائب، هم الرجال الأبطال، الذين لا يثنيهم شيءٌ عن وظيفتهم الأساسية في الحياة، ولهم بشرى الصابرين»[(١)].
- وقال: «لو كان الصبر نباتاً شوكياً لكان بلسماً».

(١) هكذا قلت، ص٣١، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار ابن حزم، بيروت.

الشعر في الصبر

- قال عبدالغني النابلسي:

اصبر لكل مصيبةٍ وتجلَّدِ ... واعلم بأن المرء غيرُ مُخلَّدِ
واصبر كما صبر الكرام فإنها ... نوبٌ تنوب اليوم تكشف في غدِ
وإذا أتتك مصيبةٌ تشجى بها ... فاذكر مُصابك بالنبي مُحمَّدِ

- وقال آخر:

وإذا عرتك بليَّة فاصبر لها ... صبر الكريم فإنه بك أعلم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ... تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

- وقال آخر:

واصبر ففي الصبر خير لو علمت به ... لكنت باركت شكراً صاحب النعم
واعلم بأنك إن لم تصطبر كرما ... صبرت قهراً على ما خُطّ بالقلم

- وقال آخر:

إذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبةٍ ... فأفرغ لها صبراً ووسع لها صدرا
فإن تصاريف الزمان عجيبةٌ ... فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عسرا

- وقال آخر:

غاية الصبر لذيذ طعمها ... وبدا الصبر منه كالصبر
إن في الصبر لفضلاً بيّنا ... فاحمل النفس عليه تصطبر

- وقال آخر:

دع المقادير تجري في أعنتها ... ولا تبيتن إلا خالي البال
ما بين غمضة عين، وانتباهتها ... يغيّرُ الله من حالٍ إلى حال

- وقال آخر:

كن عن همومك معرضاً ... وكل الأمور إلى القضا
وأنعم بطول سلامةٍ ... تُسليك عما قد مضى
فلربما اتسع المضيق ... وربما ضاق الفضا
ولرب أمرٍ متخف ... لك في عواقبه الرضا
الله يفعل ما يشاءُ ... فلا تكن متعرّضا

- وقال آخر:

بالصبر تبلغ ما ترجوه من أملٍ ... وكُلُّ أمرٍ له وقت وتدبير

- وقال الحسين بن عبدالرحمن:

إذا لم تسامح في الأمور تعقدت ... عليك فسامح وأخرج العسر باليسر
فلم أر أوفى للبلاء من التقى ... ولم أر للمكروه وأشف من الصبر

- وقال آخر:

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتلُهْ
كالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

- وقال آخر:

سأصبر حتى يأتي الله بالذي ... يشاء وحتى يعجب الدهر من صبري
فكم فاقةٍ بات الغنى من خلالها ... يلوح وكم عُسرٍ تكشف عن يسر

- وقال آخر:

الصبر مفتاح ما يُرجى ... وكل خيرٍ به يكون
فاصبر وإن طالت الليالي ... فربما ساعد الحَرُونُ
وربما نيل باصطبار ... ما قيل هيهات لا يكونُ

- وقال أبو عمران موسى بن محمد الطولقي:

تصبر إن عقب الصبر خيرٌ ... ولا تجزع لنائبة تنوبُ
فإن اليسر بعد العسر يأتي ... وعند الضيق تنفرج الكروب
وكم جزعت نفوس من أمور ... أتى من دونها فرج قريب

- وقال آخر:

عليك إذا ضاقت أمورك والتوت ... بصبر فإن الضيق مفتاحه الصبر
ولا تشكونَّ إلا إلى الله وحده ... فمن عنده تأتي الفوائد والبشر
عسى فرجٌ يأتي به الله إنه ... له كل يوم في خليقته أمرُ
إذا لاح عسرٌ فارجُ يسراً فإنه ... قضى الله أن العسر يعقبه يُسرُ

- وقال آخر:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا ... من راقب الله في الأمور نجا
من صدق الله لم ينله أذى ... ومن رجاه يكون حيث رجا

- وقال آخر:

ولرب نازلةٍ يضيق بها الفتى ... ذرعاً وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت ... فُرجت وكان يظنها لا تفرج

• وقال أحمد بن يحيى:

مفتاح باب الفرج الصبرُ ... وكلُّ عسر معه يُسرُ
والدهر لا يبقى على حاله ... والأمر يأتي بعده الأمر
والكره تفنيه الليالي التي ... يفنى عليها الخير والشر
وكيف يبقى حال من حاله ... يُسرع فيها اليوم والشهر

• وقال أبو العتاهية:

صبرت ولم أبد اكتئاباً ولن ترى ... أخا جزعٍ إلا يصير إلى الصبر
وإني وإن أبديت صبراً لمنطوٍ ... على حزنٍ منه أحرّ من الجمر
وأملك من عيني الدموع وربما ... تبادر عاص من سوابقها يجري

• وقال آخر:

اصبر على مضض الإدلاج في السَّحرِ ... وفي الروّاح إلى الطاعات والبكر
إني رأيت وفي الأيام تجربةٌ ... للصبر عاقبةً محمودة الأثر
وقل من جدَّ في أمرٍ تطلبه ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

• ويقول آخر:

والصبر مثل اسمه مُرّ مذاقته ... لكن عواقبه أحلى من العسل

• ويقول آخر:

بنى الله للأخيار بيتاً سماؤه ... هموم وأحزانٌ وجدرانه الضُّرُ
وادخلهم فيه وأغلق بابهُ ... وقال لهم مفتاح بابكم الصَّبرُ

- ويقول آخر:

اصبر ففي الصبر خيرٌ لو علمت به لكنت باركت شكراً صاحب النعم
واعلم بأنك إن لم تصطبره كرماً صبرت قهراً على ما خط في القلم

- وقال آخر:

اصبر قليلاً فبعد العسر تيسير وكل شيء له أمر وتدبير
وللمهيمن في حالتنا نظر وفوق تدبيرنا لله تدبير

- وقال آخر:

وكنت متى أرسلت طرفاً رائداً لقلبك يوماً أتبعتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

أدعية في الصبر

- ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[١].
- ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾[٢].
- أتى جبريل – عليه السلام – النبي ﷺ فقال: إن الله عز وجل يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات، فإن الله معطيك إحداهن: «**اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك أو صبراً على بليتك، أو خروجاً من الدنيا إلى رحمتك**»[٣].
- «اللهم ارزقنا صبراً على طاعتك، وارزقنا صبراً على معصيتك، وارزقنا صبراً على ما تحب، وارزقنا صبراً على ما نكره، وارزقنا صبراً عن عزائم الأمور».
- ومن دعاء عمر بن ذر الهمداني المرهبي – رحمه الله [٤]: «أسألك اللهم خيراً يبلغنا ثواب الصابرين لديك، وأسألك اللهم شكراً يبلغنا مزيد الشاكرين، واسألك اللهم توبة تطهرنا بها من دنس الآثام حتى نحلَّ بها عندك محلة المنيبين إليك، فأنت ولي جميع النعم الخير، وأنت

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢٦.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك.

(٤) الصبر والثواب عليه، ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ص١١١.

المرغوب إليه في كل شديدة وكرب وضُرّ».

- ومن دعائه – رحمه الله: «اللهم وهب لنا الصبر على ما كرهنا من قضائك، والرضا بذلك طائعين، وهب لنا الشكر على ما جرى به قضاؤك من محبتنا، والاستكانة لحسن قضائك، متذللين لك خاضعين، رجاء المزيد والزُّلفى لديك يا كريم».

- «اللهم فلا شيء أنفع لنا عندك من الإيمان بك وقد مننت به علينا فلا تنزعه منا، ولا تنزعنا منه حتى تتوفانا عليه، موقنين بثوابك، خائفين لعقابك، صابرين على بلائك، راجين رحمتك يا كريم».

أخي القارئ .. أختي القارئة: ويقول الأستاذ الفاضل والكاتب الإسلامي: محمد خير رمضان يوسف – حفظه الله: «لا تدعُ بالصبر من بين الأدعية، فإنه لا يكون إلا بعد كرهٍ ومصيبةٍ، واطلب من ربك المعافاة ال.ائمة».

❊❊❊

دروس وذكرى في البلاء [١]

في البلاء دروس لا يمكن أن نأخذها من غيره أبداً، وهي من حِكَمْ البلاء ومن أهمها ما يلي:

الدرس الأول:

أن البلاء درس من دروس التوحيد والإيمان والتوكل، يطلع لعبد عملياً على حقيقة نفسه، ليعلم أنه عبد ضعيف لا حول ولا قوة إلا بربه، فيتوكل عليه حق التوكل، ويلجأ إليه حق اللجوء، حينها يسقط الجاه والتيه والخيلاء، والعجب والغرور والغفلة، ويفهم أنه مسكين يلوذ بمولاه. وضعيف يلجأ إلى القوي العزيز سبحانه.

الدرس الثاني:

أن البلاء يكشف حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور، وأن الحياة الصحيحة الكاملة وراء هذه الدنيا، في حياة لا مرض فيها ولا تعب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[٢]. فهذا شأن الدنيا، فبينما هي مقبلة إذا بها مدبرة، وبينما هي ضاحكة إذا بها عابسة، فما أسرع العبوس من ابتسامتها، وما أسرع القطع من وصلها، وما أسرع البلاء من نعمائها.

---

(١) إسعاد القلب المكروب ببيان مكفرات الذنوب، أبي عبدالرحمن محمد بن محمود بن مصطفى الإسكندري، ص١١٧، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار ابن حزم، بيروت.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

فهذه طبيعتها، ولكن ينسى ابن آدم فيأتي البلاء فيذكره بحقيقتها، ليستعد الآخرة، التي خير وأبقى.

الدرس الثالث:

أن البلاء يذكر العبد بفضل نعمة الله عليه بالعافية. فإن هذه المصيبة تشرح له بأبلغ بيان وأصرح برهان معنى العافية التي كان تمتع بها سنين طويلة، ولم يتذوق حلاوتها ولم يقدِّرها حق قدرها، وصدق من قال: «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى»، ومن غير المبتلى يعرف أن الدنيا كلمة ليس لها معنى إلا العافية؟

الدرس الرابع:

أن البلاء يذكّرنا، فلا نفرح فرحاً يطغينا، ولا نأسى أسى يغنينا، فإن الله عز وجل يقول: ﴿ **مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾** ﴾[1].

الدرس الخامس:

إن البلاء يذكر العبد بعيوب نفسه، ليستدرك منها ما يستطيع ويعجل بالتوبة، والله عز وجل يقول: ﴿ **وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾** ﴾[3]. فالبلاء فرصة للتوبة قبل أن يحل العذاب الأكبر، فإن الله تعالى

---

(١) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

يقول: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾[1](2). والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونغصها على قول بعض المفسرين وإن كان فيه ضعف.

الدرس السادس:

أن البلاء درس تربوي عملي يربي الأمة على الصبر وما أحوجنا إلى الصبر في كل شيء. فلن نستطيع الثبات على الحق إلا بالصبر على طاعة الله. ولن نستطيع البعد عن الباطل إلا بالصبر عن معصية الله، ولن نستطيع السير في مناحي الحياة إلا بالصبر على أقدار الله المؤلمة، وما أجمل الصبر في ذلك كله، فهو زادنا إلى جنة الخلد والرضوان. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾(3)، فالابتلاء بالمصائب والنكبات أمر تعجز العقول عن إدراك كل حكمه وفوائده، وقد عرف القرطبي – رحمه الله – المصيبة بقوله: هي كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه، وقد بشر الله الصابرين على المصيبة بثلاث جوائز عظيمة: «الصلوات من الله، والرحمة منه سبحانه، والاهتداء لما شرع الله وحسن الاستجابة. ومن علامة الرضا بالمصيبة، والاستسلام لقضاء الله وقدره، وطلب الأجر منه تعالى، الصبر والاسترجاع، ويظهر ذلك في الآية الكريمة من سورة البقرة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(4).

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢١.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢١.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٥.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ – ١٥٧.

وكان بعض السلف يقول: «لولا المصائب التي تأتينا في الدنيا، لوردنا الآخرة من المفاليس» وهذه الكلمة مستوحاة من قول رسول الله ﷺ: «**إن الرجل لتكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فما زال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها**»(١).

ويقول الإمام الحسن البصري – رحمه الله: «لا تكرهوا البلايا الواقعة، والنقمات الحادثة، فلرب أمرٍ تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تؤثره فيه عطبك».

❁❁❁

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم.

الخاتمة

وفي الختام – أخي القارئ – تذكر دائماً:

١- أن الصبر أن يذكر المسلم دائماً أن أقدار الله جارية، وأن قضاءه عدل. وأن حكمه نافذ سواء صبر العبد أم جزع.

٢- وأن الصبر على البلاء يكفر السيئات.

٣- وأن المسلم يدفع السيئة والأذى بالصبر والمغفرة.

٤- ومن الصبر كتمان السر.

وفقنا الله وثبتنا وإياكم على قول الحق والعدل إنه خير مأمول. وهو ولي ذلك والقادر عليه.

تم بحمد الله وتوفيقه إنجاز هذا العمل والجهد. وأرجو أن أكون قد قدمت بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وأن ينال رضاكم، من هذه السلسلة «سلسلة رد البلاء» وهذا الكتاب رقم (٥) رد البلاء بالصبر ويليه إن شاء الله رد البلاء بصلة الرحم قريباً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

أخوكم

مصطفى حقي

الرياض – الخميس

١٤٢٩/٧/٧هـ الموافق: ١٤٢٩/٧/١٠هـ

قائمة المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- التفسير الميسر للدكتور عائض القرني، طبعة العبيكان، الرياض.

٣- أحاديث الرسول ﷺ.

٤- تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق، ألفه: محمود بن أحمد الفارياني. هذبه وخرج أحاديثه: محمد خير رمضان يوسف، مجلد أول، دار ابن حزم - بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥- تعلم كيف تصبر واقطف الثمار، أحمد بن سالم بادويلان، طبعة أولى، دار طويق، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م. الرياض.

٦- الصبر ضياء، عبده بن أحمد الأقرع، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع.

٧- صبر الأولياء في منازل الابتلاء، عائض بن عبدالله القرني، ط١ - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.

٨- الصبر وأثره في حياة المسلم، عبدالله بن جار الله آل جار الله، ط١، ١٤١٣هـ، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض.

٩- صبر أيوب، محمد كامل حسن المحامي، إشراف: عادل نويهض، المكتب العالمي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٩م، بيروت.

١٠- فضيلة الصبر، إعداد الطالب حسين عودة الحازمي، رسالة

ماجستير، ١٤١٥هـ - جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

١١- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

١٢- الصبر ضياء، إصدار دار القاسم للنشر والتوزيع، ط١.

١٣- الصبر فضائله و ..، إعداد محمد بن فهيد الدوسري.

١٤- شفاء الروح للمريض والمجروح، أبو طلحة: محمد يونس عبدالستار، ط٣، ١٤٢٨هـ، مطابع الوحيد، مكة المكرمة.

١٥- المختار من قصص الأخيار، مصطفى حقي إصدار دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الرياض.

١٦- مختصر أنساب الأنبياء والرسل الكرام، السيد محمد الخياري، ط٥، المدينة المنورة.

١٧- الصبر والثواب عليه – ابن أبي الدنيا – تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

١٨- قصص الصالحين، مأمون الساغرجي وعدنان عبد ربه ومحمد أديب الجادر، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دمشق.

١٩- دليل السائلين، أنس إسماعيل أبو داوود.

٢٠- نضرة النعيم، مجموعة من المختصين، ج٦، ط٥، دار الوسيلة، جدة.

٢١- لا تحزن، الشيخ عائض القرني، مكتبة العبيكان، الرياض.

٢٢- جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري.

٢٣- حكم القرآن، محمد خير رمضان يوسف، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار ابن حزم، بيروت.

٢٤- معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

٢٥- لسان العرب لابن منظور.

٢٦- القاموس المحيط للفيروز أبادي.

٢٧- مدارج السالكين.

٢٨- تعطير الأنام في تعبير المنام، عبدالغني النابلسي، ط٣، ١٤١٥هـ، دار المعرفة، بيروت.

٢٩- الفوائد لابن القيم.

٣٠- الأحاديث المرفوعة للصبر، إعداد عبدالله بن ناصر الخثلان رسالة ماجستير، ١٤١٩هـ، مجلد أول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٣١- المنتقى من الفوائد الإيمانية، مصطفى حقي، إصدار دار طويق، الرياض.

٣٢- تسلية أهل المصائب.

٣٣- روضة الأقوال والحكم والأمثال، مصطفى حقي، دار الحضارة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

الفهرس